أخبار الأئمة الرستميين

لابن الصغير

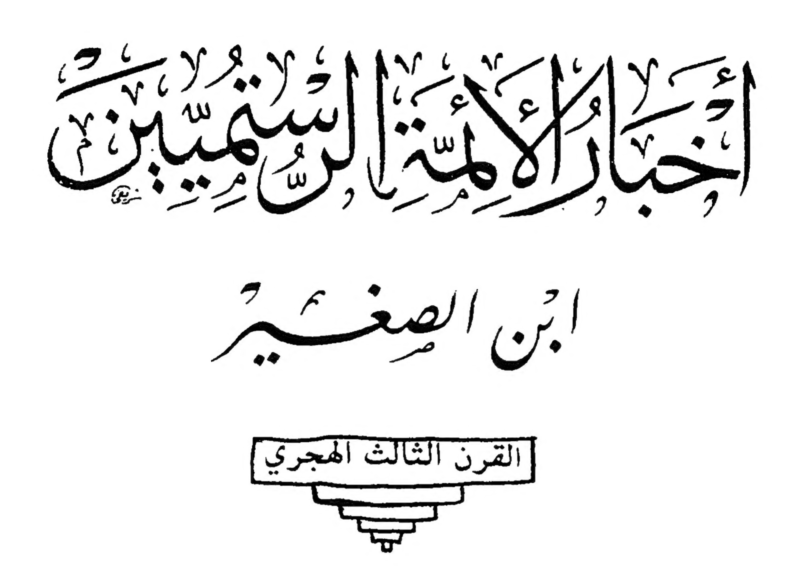
(القرن الثالث الهجري)

تحقيق وتعليق

الدكتور محمد ناصر

الأستاذ إبراهيم بحاز

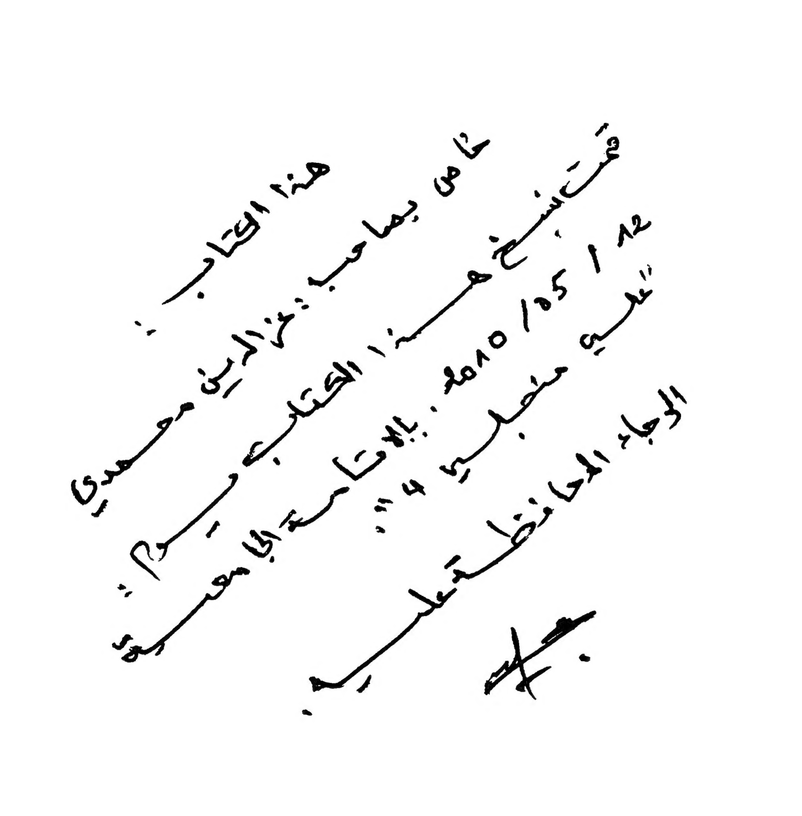




تحقيق و تعليق

دكتور محمد ناصر

الأستاذ إبراهيم بحاز



هذا الكتاب :

خاص بصاحبه : عز الدين محمدي

تمت نسخ هذا الكتاب يوم :

12 / 05 / 2015م ، بالإقامة الجامعية

علي منجلي 4

الرجاء المحافظة عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من أهم البواعث التي حفزتنا على تحقيق هذا المؤلَّف القيم ونشره ، ما رأيناه من فراغ في المكتبة العربية الاسلامية في مجال تاريخ المغرب الاسلامي عامة ، وتاريخ الدولة الرستمية خاصة . وقد ساعد على احداث هذا الفراغ الهائل عدة عوامل ، قد يكون من أهمها عدم اهتمام الدارسين والباحثين بهذا النوع من الدراسات التي تعتمد البحث والتقصي ، وميل اغلب الناشرين الى هذا الانتاج الخفيف الذي يقبل عليه القاريء المعاصر غالبا مثل القصص والروايات والشعر وما اليها .

والحق قد يكون مما ساعد على صعوبة الوصول الى هذا التراث المتعلق بالدولة الرستمية ، انصراف المؤرخين القدامى انفسهم عنها ، وزهدهم في الكتابة في تاريخها ، لا لشيء الا لكون مؤسسيها يتمذهبون بالمذهب الاباضي الذي يصر أغلب اولئك المؤرخين على اعتباره مذهبا من مذاهب الخوارج .

وقد لفت نظرنا كما لفت نظر العديد من الباحثين المعاصرين النزهاء هذا التجني في حق أول دولة مستقلة في المغرب الاسلامي ، استطاعت ان تطبق بحق الديمقراطية والعدالة بين أهلها رغم اختلاف المذاهب والديانات ، ويمكن ان نذكر من بين اولئك المؤرخين ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس ، والبلاذري (ت 279 هـ) صاحب الكتاب المشهور فتوح البلدان ، فعلى الرغم من معاصرتها للدولة

الرستمية فانهما لم يذكرا من اخبارها الا النزر القليل ، والاعجب من هذا ان ينزلق الى هذا التجني الفاضح مؤرخ مغربي شهد له بالموضوعية ، وسعة العلم وهو ابن خلدون ،[1] ان هذا الانحياز المؤسف جعل باحثا معاصرا يقرر بأن إهمال التاريخ للدولة الرستمية من شأن المؤرخين في المشرق الاسلامي ايضا ،[2] ونجد من بين الباحثين المعاصرين الاكاديميين من ضرب صفحا عن الدولة الرستمية ، فلم يرد لها ذكر في مؤلفه وكأنها لم تخلق قط بينما يذكر دويلات أقل أهمية ، ويدعي التاريخ « للثقافة والادب في المشرق والمغرب » واذا التمسنا عذرا للمؤرخين القدامى الذين كانوا يعيشون ظروفا اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة بحكم قربهم من هذه الصراعات الفكرية والمذهبية ، فاي عذر نلتمسه لدكتور جامعي يدعي الاستقلال الفكري ، والنزاهة الموضوعية ، وينشر كتابه بعد استقلال الجزائر بثلاثين سنة[3] ؟!

على أن الذين يتحملون المسؤولية الكبرى في هذا الاهمال هم المعنيون بهذا التراث قبل غيرهم من الاباضية ، لأنهم لم يبذلوا أي جهد في ازالة التراب عن هذا التراث الذي ما يزال اغلبه في رفوف الخزائن الخاصة ، وقد عبثت السنون والارضة بالكثير منه ، وسوف يأتي يوم يدرك فيه أصحاب هذه الخزائن أنهم اساؤوا في حق المعرفة الانسانية كما اساؤوا في حق تاريخهم وحضارتهم .

---

(1) أنظر ، المدني احمد توفيق ، مدخل لدراسة الدولة الرستمية ، واسهامها في التطور الفكري والحضاري الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي ، صفر 1397هـ/فبراير 1977م .

(2) أنظر تفاصيل اكثر في جودت عبدالكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، م.و.ك. الجزائر ، 1984 ، المقدمة .

(3) أنظر عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب م.و.ك. ط 3 ، الجزائر 1983 .

ونحن ، اذا ذكرنا هذا هنا فانما نذكره بألم شديد ، خاصة إذا علمنا أن كتابا مثل كتاب ابن الصغير في تاريخ الأئمة الرستميين أول دولة اسلامية مستقلة في الجزائر ، نفتقد اليوم مخطوطه في المكتبات الخاصة الاباضية وفي المكتبات العامة الجزائرية وغيرها ، وقد كان موجوداً في إحدى خزائن وادي ميزاب في بداية هذا القرن ،حيث اطلع عليه الإستاذ المستشرق (موتيلانسكى A. de C. Motylinski وذكر أنه ، في علمه ، لا توجد لذلك الكتاب أية نسخة خطية أخرى في مكان آخر ، فهل استولى عليها المستشرقون قبله . كما استولوا على كثير من تراثنا ، فافتقدتها خزائن ميزاب بطريقة إن دلت على شيء فانما تدل على تهاون أصحابها وذكاء وحيلة المستولي عليها ، وبعد هذا الاهمال الذي أدى إلى اختفاء المخطوط وضياعه ، استمررنا في الإهمال والغفلة ، ولولا أن الكتاب طبع ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر سنة 1905 م[4] لكان مصير الكتاب ، ولا شك ، الضياع والإختفاء ، فتلك إذن من جهة أخرى حسنة من حسنات الاستشراق الذي بالقدر الذي سطا به على ثراتنا وحمله إلى بلاده وراء البحار ، بالقدر نفسه احتفظ على ذلك التراث وعمل على نشره ، وتصنيف مخطوطاته في مكتباته التي فتحها لجميع الدارسين . من هنا يجب أن نلوم أنفسنا قبل أي أحد آخر على اهمالنا وغفوتنا .

وظل الباحثون يرجعون إلى يومنا هذا إلى ذلك النص المطبوع ضمن أعمال المؤتمر المذكور ، وأصبح الحصول عليه عسيراً جداً ، وفي سنة 1975ـ1976 م طبع نفس النص العربي في مجلة العلوم الإنسانية لكلية

---

(4) Actes du 14e Congrés international des orientalistes à Alger 1905 3ème partie imp. Orientale Paris 1908 – Texte arabe avec la traduction de Motylinski et sa préface,

الآداب بتونس وهي المجلة المعروفة بكراسات تونس[5] ، وذكر في سطور مدير المجلة الأستاذ طالبي محمد ، بأن إعادة طبع الكتاب تماماً مثلما فعله موتيلانسكي هو بعيد من أن يأخذ مكانه اللائق به ، وقال بأنه ليس في الإمكان إلا إعادته كما هو ، باستثناء تصحيح بعض الأخطاء الظاهرة البينة . وتفاءل أن تكون إعادة طبعه لهذا الكتاب سبباً وحافزاً لطبعة أجود . ثم ختم قائلاً « ولكن كيف الحصول على المخطوط ! »[6] .

وفي سنة 1976 م أي في نفس السنة ، أستلَّ ما كتب في تلك المجلة عن ابن الصغير : النص العربي وتقديم موتيلانسكي وكلمة مدير المجلة فأعيد طبع ذلك دون زيادة أو نقصان (ربما بالأوفست) لأن الصفحات هنا تتناسب مع الصفحات هناك والذي تغير هو ترقيم الصفحات فقط ، وقامت بهذا الطبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس منشورات جامعة تونس ضمن سلسلة « معرفة المغرب » وتحت رقم XI [7] . وذكر على غلاف هذا الكتاب ن كراسات تونس رأت ضرورة إعادة طبع بعض النصوص التي نشرت في لمجلة والتي أصبحت صعبة المنال بالنسبة للباحثين في تاريخ إفريقيا لشمالية .

هذا ما قامت به تونس ، وذاك ما قامت به فرنسا ، أما الجزائر التي عتبر الكتاب كتاباً لتاريخها المباشر ومؤلفه جزائري تيهرتي سكن تيهرت ، عهد الرستميين وكتب مشاهداته أو ما قيل له عن قرب ، فإنها لم تعمل

---

(5) Les cahiers de Tunisie, Revue des sciences Humaines faculté des lettres de Tunisie Tome XXIII N° 91-92 3e et 4e trimestre 1975, pp. 315-368

(6) Ibid p. 313

(7) Faculté des lettres et sciences humaines de Tunis, Connaissance du Maghreb XI Publications de l'Université de Tunis 1976.

شيئا من هذا القبيل ، ومن هنا كان إهمالها لتراثها ، ومن هنا كان تسرب تراثها شرقاً وغربا ، فسبقت في هذا المجال ، فهلا من نهوض ويقظة ؟

إننا نقدم ابن الصغير في حلة جديدة معتمدين على النسخ المطبوعة المذكورة وعلى نسخة مخطوطة بحوزتنا للشيخ أبي اليقظان ابراهيم ، قام باستنساخها بنفسه من مطبوعة أعمال مؤتمر المستشرقين الآنفة الذكر .

ولقد عملنا قصارى جهدنا في تحقيق النص من جميع جوانبه ، فلم نترك حسب اعتقادنا ، أي مبهم يحتاج إلى فك ، أو أية كلمة غامضة تحتاج الى تفسير أو أي خطإ لغوي يحتاج إلى تصحيح ، فرجّحنا ما وجدنا سياق الكلام يحتمه مع ذكر النص الأصلي أو الكلمة الأصلية كما وردت في الأصل ، مخافة أن يكون اجتهادنا خاطئا ، ولقد ترجمنا للأعلام الواردة في النص بالقدر الذي وجدناه في المصادر الإباضية أو غيرها من المصادر المعتمدة ، وبيّنا بعض الأماكن الواردة في النص مهملين الأماكن المعلومة ، أما بعض المواضع التي لم نجدها في المصادر الجغرافية فقد ذكرنا ذلك . وأثبتنا الروايات التي تتفق أو تختلف مع الروايات في المصادر الاباضية ، وما سكتنا عنه من ذلك فهو ينفرد به إبن الصغير . وسوف يجد القارىء والباحث توضيحات أخرى في محلها من الهوامش أو المتن .

وقد رأينا اعادة نشر الخلاصة الفرنسية التي كتبها موتلانسكي حين نشره هذه الرسالة كاملة لأول مرة سنة (1905) في المجلة الافريقية ، فعلنا ذلك حتى يستفيد اولئك الذين لا يحسنون اللغة العربية بالقدر الذي يمكنهم من فهم امثال هذه البحوث ولعل ذلك خير ، كما قمنا بتعريبه تعميما للفائدة ومساعدة لاولئك الذين لا يحسنون الفرنسية ، ونود الاشارة هنا الى اننا قد لا نوافق موتلانسكي في كثير من الاراء التي ذهب إليها في

خلاصته تلك ، وقد اكتفينا بابداء رأينا في التعليق على هوامش رسالة ابن الصغير .

كما قمنا بوضع عناوين صغيرة للرسالة الى جانب النص الاصلي اجتهدنا في أن تكون دالة على محتوياتها تسهيلا للقاريء العادي والباحث المتخصص ، واعتمدنا عليها في وضع فهرس موضوعات الكتاب وهو لم يكن موضوعا من قبل في النسخة الاصلية .

وإننا إذ نقوم بهذا العمل ، نرجو أن نكون موفقين فيه أوّلاً ، وأن يلبّي طلبات الباحثين في التاريخ الاسلامي ثانيا ، إننا نقدم هذا الكتاب إلى كل القراء والباحثين عامة وفي الجزائر خاصة لأنه كما ذكرنا سابقاً ، لم يسبق أن طبع في الجزائر أو بيع في مكتباتها رغم أنه طبع عدة مرّات، والله من وراء القصد .

ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو اخطأنا .

الجزائر في يوم 04 رجب 1405 هـ/26 مارس 1985 م

محمد ناصر
ابراهيم بحاز

ترجمة إبن الصغير والتعريف بكتابه

إبن الصغير هو مؤرخ الدولة الرستمية ، كما تسميه الدكتورة وداد القاضي[1] لا نعرف عنه شيئا كثيراً ، إلا ما ذكره هو بنفسه في كتابه .

عاصر إبن الصغير أواخر أيام الرستميين ، وذكر أنه رأى الإمام أبا اليقظان بن أفلح (261ـ281 هـ) الذي يقول عنه « وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه »[2] ، فابن الصغير إذن من سكان تيهرت الرستمية ومن رعايا الرستميين ، ولا نعرف بالضبط هل هو من مواليد تيهرت أم أنه هاجر إليها من مدينة أخرى أو من بلد آخر ، ولعلّ هذا الإحتمال الثاني أرجح ، يرجحه قوله « وقد لحقت أنا بعض أيامه » ، فالظاهر من هذا الكلام أنه جاء غريباً إلى تيهرت في أواخر أيام أبي اليقظان واستوطنها ، واستقرّ فيها كما استقر غيره قبله وفي هذا يقول إبن الصغير « ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ..... حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي .... »[3] ، فهو هنا ينسب المدينة للإباضية أو للرستميين « ينزل بهم » ولا يعتبر نفسه واحداً من أهلها ، ويبدو لنا أنه إمّا

---

(1) وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر 1387هـ/1977م .

(2) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، ص 34 .

(3) نفسه ، ص 6

أن يكون كوفيا أو بصرياً أو قروياً ، يتضح لنا هذا من قوله أيضا في مناظرة جرت بينه وبين أحد الإباضية ، فقال له هذا الإباضي « من أين زعمتَ وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق ... »[4] ، فإبن الصغير على ما يبدو لم يكن من مواليد تيهرت وإنما استوطن تيهرت ابتداءً من أواخر دولة أبي اليقظان بن أفلح الذي توفي سنة 281 هـ حسبما ذكره إبن الصغير نفسه[5] .

أما إذا تساءلنا عن مذهب مترجمنا ، فالذي نراه أنه إما أن يكون مالكيًا أو شيعيًا ، ولعل الإحتمال الثاني أقرب إلى الصواب ، فالنص الذي ذكرناه قبل قليل عن مناظرة مؤرخنا مع أحد وجوه الإباضية الذي قال له « من أين زعمتَ وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق » إن هذا النص يشير إلى كون إبن الصغير حجازي المذهب أي مالكيًا أو عراقي المذهب ، فالعراق في هذه الفترة يعج بالفرق والمذاهب ولكننا نحتمل أن يكون القصد به هنا المذهب الشيعي .

إن إبن الصغير كثيراً ما أشار إلى ميوله العلوية ولعلّ أبرز ذلك إيراده لحديث « من كنت مولاه فعلي مولاه » فهذا الحديث الذي استشهد به إبن الصغير على خصومه اعتقاداً بصحته في ذلك الوقت بالذات ، دليل على علويته ، لأن هذا الحديث ظل مدار مناقشة المحدّثين إلى يومنا هذا تقريباً بين معترف بصحته ورافض لذلك[6] فالشيعة العلويون بطبيعة الحال مؤمنون بصحة الحديث لأنه يخدم معتقداتهم وبالتالي فإبن الصغير لم

---

(4) نفسه ، ص 45

(5) نفسه ، ص 38

(6) الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج4 ، ط2 ، المكتبة الاسلامية ، عمان 1404هـ/1983م ، ص 330 ، ومابعدها .

يستشهد بهذا الحديث إلا لكونه علويًا شيعيًا ، معتدلاً في نظرنا . هذا بالاضافة إلى ذكره بأن خطب الجمعة في تيهرت كانت خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [7] .

إننا نرجّح هذا وبهذه الأدلّة ونحن نشعر يقينا أن المسألة ما زالت بحاجة إلى أقلام وبحوث ، فلعلّ اجتهادنا يكون حافزا لغيرنا للتدقيق في الأمر أكثر .

ونختم إجمالا بالقول إن إبن الصغير لم يكن من مواليد تيهرت ، وإنما قصدها في أواخر أيام الإمام أبي اليقظان ، فاستوطنها كما استوطنها الغرباء الذين تحدث عنهم ، لذلك كان الشطر الأول من كتابه إخباراً وروايات استقاها ممن يثق بهم من الإباضية والشطر الثاني منه مشاهداته الخاصة . وبالنسبة لمذهبه فهو شيعي معتدل غالبا.

أما إذا جئنا إلى كتابه ، فإننا نفاجأ بداية بتعدد عناوينه ، مثل « أخبار الأئمة الرستميين » ، « تاريخ إبن الصغير » ، « سيرة إبن الصغير » ، وقد استعملت هذه التعابير كلها في الكتابات الحديثة ، إلا أن أول نشر له من قبل الأستاذ موتيلانسكي يحمل هذه العبارة « ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستميين منقول من إبن الصغير » [8] ، فلعل الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ناقص ، وهو ما يمكن فهمه من شبه عنوانه أو افتتاحيته المذكورة ، فذكر بعض الأخبار المنقولة من إبن الصغير لا تعني إلا انتقاء أخبار دون أخرى ، وإلى هذا تشير الدكتورة وداد القاضي فتقول بأن كتاب إبن الصغير وصلنا ناقصا إذ يسكت فجأة في إمامة أبي حاتم يوسف دون أن يشير إلى

---

(7) ابن الصغير : ص 32 ، 47 .

(8) Actes du 14ᵉ congrès international opcit, p. 9

نهاية الرستميين ، وتعلل هذا بقولها إن إبن الصغير لما تحدث عن فرس يعقوب بن أفلح الأشقر قال « لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده به يضرب المثل إلى اليوم »[9] وتقول الدكتورة علماً بأن الإمام يعقوب تولى الإمامة مباشرة قبل أبي حاتم ، فقوله « إلى اليوم » تعني بعد مدة ليست بالقصيرة ...[10] .

ويعتبر كتاب إبن الصغير المرجع الأول ، وربما الوحيد لتاريخ الأسرة الرستمية ، ويتهم الشيخ محمد مبارك الميلي لغته بالعامية[11]، فهي إن كانت في بعض الألفاظ كذلك ، فالكتاب ككل لا يمكن وصف أسلوبه بالعامية في نظري ، وفي هذا يقول الدكتور محمود إسماعيل إن « أسلوبه ومنهجه كما يتضح في تاريخه للدولة الرستمية ينم عن طول باع في ميدان التاريخ »[12] .

ويبدو أن إبن الصغير ألّف كتابه حوالي سنة 290 هـ حسبما يرى ذلك مترجم الكتاب وناشره الأستاذ موتيلانسكي[13]، ويؤكده كل من الأستاذ ليفسكي[14] ووداد القاضي[15]، إذ تنتهي أحداث الكتاب في حكم أبي حاتم

---

(9) ابن الصغير : ص 43

(10) وداد القاضي : ابن الصغير ، مجلة الأصالة عدد 45 . ص 40 . من المعلوم أن الاباضية لا يعترفون بإمامة يعقوب بن أفلح ، وكذا إمامة اليقظان بن اليقظان وكلاهما قفز إلى الإمامة دون مساندة من الاباضية فهم يتوقفون عند الامام أبي حاتم (قتل سنة 294هـ) فلعل هذا هو السبب في إهمال الاحداث الأخيرة للدولة الرستمية وذلك بعدم استنساخ الإباضية لها ، خاصة وأن المخطوط الذي وجده موتيلانسكي إنما وجده بميزاب ومن هنا كانت العبارة «ذكر بعض الأخبار» .

(11) الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج2 . الجزائر 1350هـ/ص 69 .

(12) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي . بيروت ، 1976 ، ص 9 .

(13) Actes du 14e Congrès, op.cit p. 4

(14) Lewicki T.: l'Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le soudan occidental cahiers d'études africaines vol II (8) Paris 1962. p.515.

(15) وداد القاضي : مجلة الأصالة عدد 45 ، م 40 .

الـذي امتـد إلى سنـة 294 هـ . ولم يشر إطـلاقـا إلى اليقظـان بن أبي اليقظان ، هذا إذا اعتبرنا الكتـاب الـذي بين أيدينـا كاملا لم يسقـط منه أخره .

أما إذا تحدثنا عن محتويات الكتاب فالحقيقة أن إبن الصغير جمع أخبار الأئمة الواحـد تلو الآخر بـالترتيب ، وأطنب في الحديث عن بعض الفتن ، كفتنة إبن عرفة أو المنافسة التي جرت بين الإمامين أبي حـاتم وعمه يعقوب على السلطة[16]. حتى ليخيل للقاريء أن إبن الصغير إنما ألف تأليفـه لـذكر الفتن والثورات التي مرت بها تيهرت ، ابتداء من الإمام الثاني عبد الوهـاب إلى الإمام أبي حاتم يوسف .

واعتمد إبن الصغير في كتابة تاريخه على مصـدرين : الروايـة الشفويـة وهي تسيطر على الجزء الأكبر من كتابه ، والمشاهدة التي لا تبـدأ قبل فترة أبي اليقظان الذي عاصر إبن الصغير أيامـه الأخيرة . وفي الروايـة الشفويـة يذكر إبن الصغير أحـد رواتـه وهو أحمـد بن بشير[17] الـذي يبـدو أنـه إبن لأحد المقرّبين من الإمام أبي اليقظـان ، ممـا يضفي أهميـة على أخبـاره وممـا يجعل مصادره قريبة من الأحداث التي يؤرخ لها .

إن الأمـانـة العلميـة التي التزم بها إبن الصغير لم تمنعـه ، كما تقـول ودان القاضي من ممارسة حسه النقدي للروايات بصفته مؤرخـا . وهـذا مـا يمكن ملاحظته في الروايات التي رواها . وتـدور حول موضوع خطير في ذاتـه ، خطير في نتائجه وجدته ، إذ يشعر إبن الصغير بـالتحرّج الشـديـد » وقـد ظهر ذلـك منـه مرتين : الأولى عنـدمـا جـاء في الروايـة أن أفلـح بن عبـد

---

(16) ابن الصغير : ص 37 وما بعدها . 53 وما بعدها .

(17) ابن الصغير : ص 48 . وأنظر قبلها ص 45 .

الوهاب عمد إلى سياسة فرق تسد ... والمرة الثانية في قصة تأليب وجوه الرستميين لأبي بكر بن أفلح ضد إبن عرفة .... فالرواية هنا ذهبت إلى أن أبا اليقظان بالذات هو الذي قام بتحريض أبي بكر علي إبن عرفة وباقتراح منه .... »[18] .

ويكاد يخلو كتاب إبن الصغير من ذكر التواريخ ، أو ذكر أخبار الدولة الرستمية خارج تيهرت ، وكأنه خصصه لتاريخ تيهرت لا غير . وإذا أردنا ختاماً تقييم المؤلف على ضوء كتابه ، وقيمته التاريخية ، فإنّه لا يسعنا إلا إعادة تكرار ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن « القراءة الدقيقة لتاريخ إبن الصغير تدل على أن إبن الصغير لم يكن مجرد راوية للتاريخ وإنما كان مؤرخا حقًّا »[19] .

لهذه الأسباب كلها وللأهمية المذكورة للكاتب والكتاب نقوم اليوم بتقديمها رغم عدم عثورنا على المخطوط . ونشير إلى أننا أمام اختلاف وتعدد عناوين الكتاب رأينا ترجيح هذا العنوان :

☆ أخبار الأئمة الرستميين ☆

لأنه الأقرب إلى نص الكتاب ، وهو الأقرب إلى شبه العنوان الذي ظهر به أوّلاً .

(18) وداد القاضي : الأصالة عدد 45 ، ص 44 .

(19) نفس المرجع ص 49 ، وأنظر كذلك الدكتور محمود إسماعيل : الخوارج ، حيث يقول إن ابن الصغير ن مؤرخا دقيقا نابها . ص 9 .

تاريخ « إبن الصغير »
عن أئمة تاهرت الرستميين

تأليف : موتلانسكي
ترجمة : د/ محمد ناصر

في دراسة منشورة سنة 1885 تحت رعاية مدرسة الآداب بالجزائر ، قدمت معلومات موجزة عن أئمة تاهرت الرستميين منسوبة الى مؤرخ يدعى « إبن الصغير » .

وسأقدم هنا ترجمة للنص الكامل لهذا المخطوط الذي لا يوجد منه - حسب علمي - سوى نسخة وحيدة بوادي ميزاب ، وكان المفروض أن تصحب (الترجمة) معلومات وافية عن الاصول العقائدية والتاريخية للاباضية ... عن بداية وتطور المذهب في المغرب (الاسلامي) ... معلومات عن الاحداث التي سبقت أو ساعدت على تأسيس تاهرت ، ولكن هذا العمل كما يبدو في إطاره المحدود الضيق ان هو سوى مساهمة متواضعة في تاريخ الخوارج بافريقيا وهو يحتاج الى دراسات أعمق مما دفعنا الى الالحاح على بعض التساؤلات التي عولج بعضها بطريقة مجزأة ، ولأهميتها فاني سأحيل (القاريء) الى سير أبي زكرياء المترجمة والموثقة من طرف الفقيد « ماسكاري »[1] .

وليسمح لي أن أذكر من بين المراجع ، الدراسات المتواضعة التي قمت بها

---

[1] يشير هنا الى كتاب «سير الأئمة وأخبارهم» المعروف بتاريخ ابي زكرياء وقد نشر مؤخرا بتحقيق اسماعيل العربي عن المكتبة الوطنية بالجزائر وكان قد ترجمه «ماسكاري» . أنظر Emile masquery, la chronique d'abou Zakaria Alger 1878.

عن اباضية الشمال الافريقي وهي : القرارة منذ تأسيسها[2] ، جبل نفوسة[3]، العقيدة الاباضية[4] ، وقد نشرت هذه الدراسة الاخيرة بالمجلد الذي صدر عن مدرسة الآداب بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر الذي يجمعنا[5] .

ان تاريخ إبن الصغير يعد من أقدم الوثائق المتعلقة بتاريخ اباضية المغرب ولا يمكن ادراجها ضمن هاته السير المؤلفة من طرف المؤرخين الاباضيين ، مثل سيرابي زكرياء ، وطبقات الدرجيني ، وجواهر البرادي ، والسير للشماخي ، وغيرها من الدراسات الثانوية التي تكون في مجموعها الأسس الحقيقية لتاريخ اباضية ميزاب ، واخوانهم بجربة ، وجبل نفوسة ، ذلك لأن عمل إبن الصغير هو عمل مؤرخ أجنبي عن المذهب يسكن تاهرت الرستمية تحت حكم آخر حكامها ، ان عمل ابن الصغير هو عمل مسلم لا ينتمي الى المذهب الاباضي عاش تحت حكم الدولة الرستمية في آخر أيامها ، دفعه حب الاطلاع الى جمع معلوماته عن عبد الرحمان بن رستم وخلفائه من أفواه اباضية تاهرت إنفسهم .

ان تاريخ إبن الصغير يتوقف عند حكم أبي حاتم يوسف الذي خلف أباه أبا اليقظان سنة (281 هـ) وقد خلع أبو حاتم من الحكم وخلفه يعقوب بن أفلح ثم عاد الى الحكم مرة ثانية ، وابن الصغير لا يخبرنا عن الحوادث العنيفة المأساوية التي سبقت بسنة أو بسنتين تدمير تاهرت من طرف الداعية أبي عبد الله (الشيعي) سنة (296 هـ) مما يدل على أن إبن الصغير كتب تاريخه حوالي (290 هـ) .

---

(2) يشير الى كتابه : Guerrara depuis sa fondation

(3) أنظر مؤلفه : Le Djebel Nefousa

(4) أنظر : L'aquida des Ibadhites, receuil de memoires et de textes publié en l'honneur du XIV congé international des orientalistes, Alger 1905. Paris, 1908.

(5) يعني به المؤتمر العالمي للمستشرقين المنعقد بالجزائر في 1905 .

وإذا نظرنا الى قيمة هذا العمل من حيث هو تاريخ عام للاباضية فانه لا يكتسب هذه القيمة التي يكتسبها تاريخ أبي زكرياء ، بل هو أشبه ما يكون بحكاية موجزة عن أمراء الرستميين كما هو وصف لمدينة تاهرت الاباضية ، وصف لحياتها ونزاعاتها الداخلية والخارجية هذه النزاعات التي أدت الى سلسلة حروب طويلة بين الاخوة .ومع ذلك فان هذه السيرة تبقى ذات أهمية لمن يريد معرفة بعض الحوادث والاخبار التي مر عليها المؤرخون الاباضيون مرور الكرام أو أنهم أغفلوها محافظة على دور الزعامة الدينية تنزيهاً وحرصا على عدم الاضرار بسمعة المذهب[6] .

أسست تاهرت سنة 144 هـ من طرف عبد الرحمن بن رستم في الظروف التي يعرفها الجميع ، وسرعان ما ازدهرت وكثر سكانها المتكونون أساسا من جماعة قادمة من نفوسة تابعة أمامها (عبد الرحمن) ومن بعض المهاجرين من افريقيا ، غير أن الاباضية المتجمعين في المدينة الجديدة لم يسندوا الامامة الى عبد الرحمن الا حوالي 160 هـ أو 162 هـ حسب أبي زكرياء .

فورنيل (Fournel) يظن أنه من المنطقي اعتبار حكم عبد الرحمن يبدأ من السنة نفسها التي أسست فيه تاهرت (البربر ، ص : 91،90)[7]، انه على العكس تماما اذ من الطبيعي اعتبار بداية امامته سنة 160 هـ ، والواقع أنه ينبغي ألا ننسى أن أبا حاتم الملزوزي - الذي يعتبره المؤرخون السنيون مجرد زعيم لثورة البربر - قد عينه الاباضية (اماما للدفاع) سنة 145 هـ واستطاع بذلك أن يتزعمهم ويجمع حوله كل قوى الخوارج حتى

---

(6) يبدو موتيلانسكي هنا مبالغا لان ما ورد في تاريخ ابن الصغير عن الفتن الداخلية لا يختلف عما ذكره أبي زكرياء مثلا .

(7) لم نهتد الى هذا المصدر المشار اليه هنا .

سنة 155 هـ السنة التي قتل فيها أبو حاتم بمكان يدعى (جنبي) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم .

هذه الكارثة التي أدت ـ حسب النويري ـ الى افناء ثلاثين ألفا من البربر وهي ضربة موجعة للخوارج اذ كانت السبب ، غالبا في حركة الهجرة من نفوسة ومن هوارة ومن القبائل الأخرى نحو المغرب الأوسط فرارا من سلطة يزيد بن حاتم ، وهكذا تجمع الاباضية حول عبد الرحمن بن رستم ، وبذلك تزايدت جماعاتهم وارتفع سكان مدينة تاهرت مما سمح بسكان المدينة والبادية الاباضيين بمنح اسم « الامام » لزعيمهم عبد الرحمن بن رستم ، وهكذا تأسست في قلب المغرب مملكة بربرية يحكمها أمراء اباضيون من أصل فارسي ، ويتتابعون في الحكم حتى سنة (296 هـ) .

المؤرخون يذهبون الى أن امامة عبد الرحمن دامت ست أو ثماني سنوات ، ولكن المؤرخ إبن الصغير يخبرنا ببساطة وبحسن نية ، وياللأسف بأنه نسي عدد سنوات حكم عبد الرحمن ، وبشهادة الجميع فان عبد الرحمن كان مثالا للبساطة والزهد والنزاهة ، ويخلفه ابنه عبد الوهاب الذي حكم مدة طويلة دامت أربعين سنة وكانت السنوات الأولى لحكمه هادئة سعيدة ، ولكن سرعان ما كثرت النزاعات ، والصراعات المتسترة بنظريات دينية حول الامامة وأحقيتها ـ وهي التي طالما حللها أبو زكرياء ـ كما راح عنصر البدو يطمحون ـ كما كانوا يفعلون ذلك في النجود والصحراء ـ الى القيام بدور بارز في تسيير شؤون المدينة والتأثير مباشرة في الامامة ، وهنا نرى أول انشقاق داخل المدينة ويتولد عنه ظهور فرقة « النكار » ، وهكذا سال الدم من هنا وهناك ، مما أدى الى قتل ميمون بن عبد الوهاب من طرف المنشقين . وحسب رواية أبي زكرياء فان الامام نفسه لم يفلت من ضرباتهم الا بفضل حزمه ، ويقظته ، ان المدينة البربرية حيث كان الاتحاد

والوفاق سائدا أصبحت لها صفوفها وقد أخذ التفرق والتحزب يعمل حتما على انهيار المملكة .

وخلف أبو سعيد أفلح أباه عبد الوهاب ، وكان حكمه أطول حكم عرفته الدولة الرستمية اذ دام خمسين أو ستين سنة ، كان متصفا بالحزم والشجاعة ، وقد تهيأ للزعامة بفضل الحروب التي لعب فيها دورا ملحوظا ، وقد تخول للتسيير قبل وفاة أبيه واستطاع أن يحكم بكل جدارة واستطاعت تاهرت أن تشهد في عهده تحولا هاما ، وبفضل حنكته السياسية استطاع أن يجمع حوله القبائل ويحصل على هيبتها مع المحافظة على السلم والاستقرار بين الاباضية وغيرهم من سكان المدينة أما أبو بكر إبن أفلح فلم يصل الى الحكم ، بعد وفاة أبيه الا بفضل غياب اخيه ابي اليقظان الذي سجنه العباسيون حين ذهابه لاداء فريضة الحج[8] ، وكان أبو بكر فارسا وسيما يحب الآداب واللهو ، ولا يملك صرامة اسلافه مما جعل صهره محمد بن عرفه يسيره كما يشاء .

وبعد عودة أبي اليقظان من المشرق أخذ يتهيأ في سرية تامة للوصول الى الحكم متظاهرا بالاحترام التام لأخيه ، وكان يعمل جاهدا لاكتساب الشعبية ، واستطاع بذلك أن يجمع حوله جماعة نفوسة ذات الأهمية فهي معروفة بمساندتها الدائمة للأسرة المالكة الرستمية ، واغرى أبو اليقظان أخاه ليتخلص من محمد بن عرفه الذي بدأ يقلقه ، ولكن اغتيال هذه الشخصية التي كان لها تأثير معتبر في المدينة أدى الى حرب أهلية طويلة .

وهكذا اضطر ابو بكر الى مغادرة المدينة حيث أصبحت الفوضى ضاربة أطنابها لعدة سنوات .

---

(8) سجنه الواثق مع أخيه المتوكل ببغداد ثم أطلق سراحه هذا الأخير بعد توليته الحكم .

أما أبو اليقظان فقد أوى الى قبيلة (لواته) مع نصرائه الذين استطاع أن يكسبهم الى جانبه وهنا نصب اماما ، ووجد نفسه ملزما بالعودة الى المدينة والاستعانة بقوات نفوسة وطرابلس ، وبمساعدتهم استطاع أن ينتصر على آخر المقاومين ، ويأخذ السلطة نهائيا .

إن كتاب السير أغفلوا الحديث عن نهاية أبي بكر كيف كانت ، وإبن الصغير يقرر أن مدة حكم أبي اليقظان دامت أربعين سنة ، ويحدد سنة موته بعام (281 هـ) .

ويخلف أبا اليقظان ابنه حاتم يوسف الذي جاءت به الى الحكم احدى الفرق بالمدينة دون موافقة القبائل الأخرى وهو ما جعل مدة حكمه ـ التي يقول المؤرخون أنها دامت احدى عشرة سنة ـ مليئة بالحروب الاهلية الدامية .

إن موقعة (مانو)[9] (283 هـ) كانت الضربة القاضية للخوارج في المغرب الشرقي وهزت سلطة بني رستم في جميع الانحاء .

بيد أن اسرة بني رستم اصبحت متعددة منقسمة على نفسها بسبب الإحن والحروب وهو ما ساعد ولا شك ، على اضعاف سلطة الحكام الرستميين وأصبحت القبائل تملك سلطة مصير الحكام الذين أصبحت تعينهم كما تشاء وتهوى ، وبهذه الصفة رأينا طرد أبي حاتم من المدينة والتجاءه الى قبيلة هوارة المتحالفين معه لحرب عمه يعقوب بن أفلح الذي عيّن اماما خلفا له ، استطاع عزله بدوره وبمساعدة القبائل دائما استطاع استرجاع الحكم .

وهنا يتوقف تاريخ إبن الصغير ، ونستطيع عن طريق أبي زكرياء أن

---

(9) أنظر تفاصيل هذه الواقعة بتاريخ أبي زكرياء . ت.اسماعيل العربي الجزائر 1979م ص 103 .

نعرف أن يعقوب بن أفلح استطاع الفرار من تاهرت ابان سقوطها في شوال من سنة (296 هـ) ويلجأ الى مدينة ورجلان مع ولده ابو سليمان .

أما بالنسبة لأبي حاتم الذي يذكره ابو زكرياء في الصفحات (217-218)[10] فان حكمه انتهى بعد قتله من طرف أخيه اليقظان أو من طرف أبناء هذا الاخير ونعلم أن اليقظان - الذي لم يستطع الحفاظ على الحكم الا مدّة قليلة - قتله الداعي أبو عبد الله الشيعي مع عدد كبير من عائلة بني رستم .

وهكذا تزول تاهرت الاباضية بعد (152 سنة) من الوجود وتخمد دولة بني رستم التي طبقت الامامة مدة (134 أو 136 سنة) .

ان تسلسل الاحداث التاريخية لهذه الاسرة ما يزال غير ثابت ، ولا يمكن الاطمئنان الى التواريخ التي يقدمها إبن الصغير أو آخرون عن مدد حكم الامراء الرستميين ان هذه المدد ثلاثون ،... أربعون ... أو خمسون سنة ان هي الا أرقام عشرية تقريبية ، والواقع أن المرء يستطيع بعد جمع هذه الأرقام التي تؤرخ مدة حكم الرستميين - دون عدّ مدة أبي بكر ويعقوب - أن يدرك أن مجموعها يتجاوز المدة التي عاشتها الدولة الرستمية نفسها . وفي هذا الشأن يمكن الرجوع الى الجدول التاريخي الذي أعده (رينيه باسيه Rene Basset) بعد مقدمة بحثه القيم مزارات جبل نفوسة[11] .

---

(10) لم يوضح موتيلانسكي هنا النسخة التي اعتمدها . وهي ولا شك مخطوطة لكن يمكن الرجوع الى تحقيق اسماعيل العربي لكتاب سير الأئمة لأبي زكرياء ص 99

(11) يشير هنا الى كتاب Basset R. les sanctuaires du djebel neffoussa, Paris, 1889.

ذكر بعض الاخبـار في الأيمـة الرستميين منقول من إبن الصغير .

ولاية عبد الرحمن بن رستم

أخبرني غير واحد من الاباضية عن من تقـدم من آبـائهم قالوا لما نزلت الاباضية [1] مدينـة تـاهرت [2] وارادوا عمـارتها اجتمع رؤساؤهم فقالوا قد علمتم انـه لا يقيم امرنـا الا امـام [3]

---

(1) الإباضية فرقة من الفرق الإسلامية ، يرجع بروزها إلى النصف الثـاني من القرن الأول الهجري ، ونسبت إلى عبد الله بن إباضي التيمي الـذي كان في الحقيقـة لا يصـدر في أمره إلا عن الإمام جابر بن زيد الأزدي التابعي ، إذ يعتبر هذا الأخير عنـد الإباضيـة أس المذهب وإمامه . واشتهرت الإباضيـة ضمن فرق الخوارج ، فهي وإن كان ظهورهـا مرتبطـا بتلك الحركـة ، إلا أنهـا انشقت عنهـا لما ظهر غلـو بعض المتطرفين من الخوارج ، فبرزت فرقـة مستقلـة منفصلـة عن الخوارج منذ بداية النصف الثـاني من القرن الأول الهجري . أنظر الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج 2 ص 205 ، الشماخي : سير ، ص 77 ، عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضيـة ، ص 44 ومـا بعدها ، مهدي هاشم طالب : الحركة الاباضية في المشرق ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة) بغداد ، 1977 . بحاز ابراهيم : الدولـة الرستميـة (رسـالـة مـاجستير نـوقشت في بغداد سنة 1983 م) ، ص 73-80 .

(2) من المعلوم أن الإباضيـة نزلوا موضع تاهرت ، وهم الذين بنوا المدينـة فيما بعد ، وليس كما يمكن أن يفهم من نص إبن الصغير الذي جعل تاهرت مدينة مبنية نزلها الإباضية . ولا بد من الاشارة إلى أن لفظ تيهرت أضبط من تاهرت ، كما أن تيهرت أو تاهرت مدينتان قديمة وحديثة ، وتقع تيهرت (العاصمة الرستمية) على بعد 9 كيلو مترات من تيهرت اليوم ، وتبعد عن مدينـة الجزائر العاصمة في الشمال الشرقي منها بحوالي 430 كلم وتفصلها مسـافة 240 كلم عن مدينـة وهران في الشمال الغربي منها . أنظر البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص 67-68 ، أبـو الفـداء : تقـويم البلـدان ، ص 138 أبـو زكـريـاء : سير ، ص 53 ، أطفيش : الرد على العقبي ، ص 70 وأنظر خاصة بحاز ابراهيم : الدولـة الرستميـة ، الفصل الثـاني من البـاب الأول ص 81 ومـا بعدها .

(3) تنقسم الإمامة عند الإباضية إلى أربعة أقسام تعرف بمسالك الـدين وهي إمامـة الظهور والدفاع والشراء والكتمان . أنظر شروح هذه الأنواع من الإمـامـة في مقدمة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع ، ص 69-72 ، عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضيـة في شمال

رجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا
صلاتنا ونؤدي اليه زكاتنا ويقسم فينا ، فقلبوا امرهم فيما
منهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه راس او راسان او اكثر
دبر أمر القبيل ويستحق امر الامامة فقال بعضهم لبعض
م رؤساء ولا نأمن ان يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته
عل المقدم ان يرفع اهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد
نيات ويكثر الاختلاف ويقل الإئتلاف ولكن هذا عبد
رحمن بن رستم[4] لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له
حميه وقد كان الامام أبو الخطاب[5] رضي لكم عبد الرحمان
دنيا وناظرا فقلدوه أموركم فان عدل فذلك الذي اردتم
ن سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا
عشيرة تدفع عنه . فأجمعوا رايهم على ذلك ثم نهضوا اليه

مبايعته إماما

افريقية في مرحلة الكتمان ، ص 109-113 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 79-80 . والجدير بالذكر أن نص إبن الصغير يشير إلى إمامة الظهور .

(4) عبد الرحمن بن رستم (160 هـ - 171 هـ) مؤسس الدولة الرستمية ، تكاد المصادر جميعا تتفق على أن عبد الرحمن فارسي الأصل حتى الذين عاصروا الرستميين مثل اليعقوبي تجعلهم من الفرس إلا أن إبن الصغير لا يشير صراحة إلى هذا النسب وإنما يذكر أن عبد الرحمن لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة تحميه . أما المسعودي فيرى أن الرستميين من الأشبان الذين إختلف في نسبهم فمنهم من يقول أنهم من ملوك فارس الأولى ، ومنهم من يذهب إلى أنهم من ملوك الأندلس اللذارقة (جمع لذريق) والمسعودي مع هذا الرأي الأخير . حول نسب عبد الرحمن بن رستم أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، الفصل الثاني من الباب الأول « عبد الرحمن بن رستم حياته ونسبه » ص 92 وما بعدها . وارجع إلى : اليعقوبي : البلدان ، ص 104 المسعودي : مروج الذهب ، ج 1، ص 186 ، 357-358 .

(5) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني ، أحد حملة العلم من الإباضية إلى المغرب أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الكتمان في البصرة بعد جابر بن زيد الأزدي . التقى أبو الخطاب اليمني ببعثة المغرب في مدرسة البصرة وتتكون تلك البعثة من عبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن درار الغدامسي . مكث الجميع في البصرة عند أبي عبيدة مدة خمس سنوات (135 هـ - 140 هـ) فتكونت بذلك ، ماه

باجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيناك الامام في ابتدائنا[6] ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد علمت انه لا يصلح امرنا الا امام نلجأ اليه في امورنا ونحكم عنده فيما ينوب من اسبابنا . فقال لهم ان اعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا الي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بايديهم . فسار بهم بسيرة جميلة حميدة اولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه في احكامه حكما ولا في سيره سيرة[7]، وسارت بذلك الركبان الى كل البلدان ، وكانت له قصص حكوها لا يمكن ذكرها الا على وجه ، وإن اتم الصدق فيها ولا احرفها على معانيها ولا ازيد فيها ولا انقص منها ، اذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوى المروؤات ولا من أخلاق ذوي الديانات ، وان كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذاهبهم مستقلين ، فنحن وان ذكرنا سيرهم على ما اتصل

- يعرف عند إباضية المغرب . بحملة العلم الخمسة . ولما تمت البعثة بالرحيل والعودة إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي ، إقترح عليها شيخها أبو عبيدة إن أنسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان إمامة إباضية ، أن يعقدوها لأبي الخطاب وكان كما اقترح إذ بويع أبو الخطاب بالإمامة سنة 140 هـ واستطاع أن يدخل القيروان سنة 141 هـ . فعيّن عبد الرحمن بن رستم والياً عليها أو قاضيا وناظراً بتعبير ابن الصغير . أنظر : أبو زكرياء : سير . ص 37 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 19، 23، 29 . محمد إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 64-65 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 65 .

(6) يشير هنا إلى تعيين أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري عبد الرحمن بن رستم والياً على القيروان سنة 141 هـ .

(7) تكاد رواية إبن الصغير توافق الرواية الإباضية فيما يخص تولية عبد الرحمن بن رستم أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 53-54 ، الدرجيني : طبقات ج 1 ص 41 .

بنا وعدلهم فيها ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة افعالهم ، ولا حسن سيرهم ، لما نعلمه من براءتهم ممن والاه رسول الله ﷺ وقال « من كنت مولاه فعلي مولاه »[8].

عدل عبدالرحمن

اخبرني غير واحد من وجوه الأباضية عن سلفهم ، لما ولي عبد الرحمن بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر ميزره واحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فطار ذلك في اطراف الارض مشارقها ومغاربها حتى اتصل ذلك من اخوانهم من اهل البصرة[9] وغيرها من البلدان ، فلما علموا ذلك من أمره

معونة اباضية المشرق لعبدالرحمن

جمعوا اموالا غظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم ، وقال بعضهم لبعض : قد ظهر بالمغرب امام ملأه عدلا ، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا ، فانهضوا اليه بما معكم من هذه الاموال حتى تردوا المدينة التي سكنها فان كان على ما نقل لنا من حسن طريقته وصحة سيرته فادفعوها اليه ، وان كان على غير ذلك فانظروا الى افعاله وما يتولاه من الاحكام بين رعيته ثم آتونا بذلك كله ، فمضى القوم حتى اتوا

(8) حديث « من كنت مولاه فعلي مولاي ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » حديث صحيح أخرجه الترمذي ، المجلد الرابع ، صفحة 327 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ويذكر ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة هذا الحديث تحت رقم 1750 . وبعد ذكره عدة طرق للحديث قال « وللحديث طرق أخرى كثيرة ، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع ، وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً ، وإلا فهي كثيرة جداً ... قال الحافظ إبن حجر منها صحاح ومنها حسان » الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط 2 ، م 4 ، المكتبة الإسلامية عمان ، الدار السلفية الكويت 1404 هـ/1983 م . ص 330،343 .

(9) يقصد هنا إباضية البصرة ، إذ من المعلوم أن البصرة هي مهد الإباضية ومنها انطلق المذهب الإباضي نحو مختلف الآفاق .

المدينة ونزلوا المصلى الذي به اليوم قبر[10] مسالة ، فاناخوا جمالهم ووضعوا احمالهم وتقدموا مع القادمين معهم حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا[11] يسألون كل من لقوه من الناس عن دار الامام عبد الرحمان ، حتى وقفوا عليها واصابوا عند بابها غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه ، والغلام يناوله ما يصلح به فسلموا على الغلام فرد السلام ثم قالوا هذه دار الامام ؟ فقال نعم ، فقالوا له استأذن لنا منه وأعلمه أنا رسل اخوانه اليه من البصرة ، فرفع الغلام رأسه الى سيده وقد علم انه سمع كلامهم ، فقال قل للقوم يصبروا قليلا ، ثم اقبل على ما كان عليه من اصلاح عمله حتى انقضى والقوم ينظرون اليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم ام لا . حتى نزل عن سطحه الى داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحية من داره ، فسلموا عليه وأعلموه أنهم رسل إخوانه اليه ، فأمر غلامه باحضار طعامه فاتاه بمائدة عليها قرص سخنت وسمن وشيء من ملح ، فأمر بتلك القرص فهشمت وأمر بالسمن فلثت به ، ثم قال : على « اسم الله » أدنوا وكلوا ثم أكل معهم

---

(10) في نسخة الشيخ أبي اليقظان وردت (بئر مسالة) ولعل ذلك من تصحيحاته .

(11) من المعروف أن لتيهرت أربعة أبواب فبالإضافة إلى باب الصفا الذي ذكره إبن الصغير هناك باب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن ، أنظر البكري : المغرب ، ص.66 ، الباروني : الأزهار الرياضية ، ج 2 ، ص 27 .

بأكلهم ، فلما انقضى طعامهم قال : ما مرادكم وما جاء بكم ؟ فقالوا له نحب ان تاذن لنا حتى نخلو فيا بيننا ثم نكلمك بعد ذلك فقال افعلوا فجلسوا نجيا فقال بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا منه من اصلاحه لداره بنفسه ، ومطعمه وملبسه ، وحلية بيته ، فما نرى الا ان ندفع اليه المال ولا نشاور احدا فيه ، وكان الذي معهم من المال ثلاثة احمال . فأجمع رأيهم على حمل المال اليه ، ورجعوا اليه ثم أقبلوا عليه ، فقالوا ، أعزك الله ، معنا ثلاثة احمال من المال بعث بها اليك اخوانك لتنفق بها على زمانك وتصلح به شأنك . فقال هذه الصلاة قد حضر وقتها ونحن نخرج الى المسجد الجامع فنصلي بالناس ونعلمهم بما جئتم به ، فقالوا الامر اليك . فخرج وخرجوا حتى اتوا المسجد الجامع فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته نادى مناد الا يتخلف من كل قبيلة وجوههم ففعل الناس ذلك ، فلما انفض الناس وبقي من يفوض اليه الامر من وجوههم ، قال للرسل اعلموا اخوانكم لما جئتم له ؟ فأعلموهم بمثل ما أعلموه ، ثم عطف على الناس فقال ما ترون ، فقالوا ان هذا رزق ساقه الله الينا من طوع اخواننا بلا سؤال منا فنرى ان ترسل الى هذا المال وتحضره بين يديك فتجعل منه ثلثا في الكراع[12] وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء الناس وضعفائهم ، فقال للرسل قد سمعتم ما يقول اخوانكم فما تقولون ؟ قالوا نقول

(12) الكراع إسم يجمع الخيل والسلاح وربما المقصود به في نص إبن الصغير الخيل فقط . أنظر إبن منظور : لسان ، م 3 ، ص 245 .

رخـــاء وأمن الدولة الرستمية

سمعا وطاعة ، فاحضروا المال فقال عبد الرحمن أريد ان تقيموا حتى يصرف المال في وجوهه ثم تنصرفون الى اخوانكم فتعلمونهم ذلك ثم جزّأوا المال اثلاثا امتثال ما عقدوا عليه وذلك بمحضر من الرسل ، ثم قال للرسل انصرفوا على بركة الله اذا شئتم [13] .(وأنه لما وصل المال ، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف وانتعش الفقير حسنت احوالهم وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون ان يغزوهم ، ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الاموات [14] وغرس البساتين واجراء الانهر [15] واتخاذ الرحاء [16] والمستغلات [17] وغير ذلك ، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصى الاقطار ، فقال [18]: ليس احد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم [19] لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة

(13) لاتختلف رواية ابن الصغير عن رواية المصادر الاباضية إلا في بعض الإضافات . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 54 ، الشماخي : سير ، ص 140 .

(14) إحياء الأراضي الميّتة .

(15) النهر جمعه أنهار ونُهُرٌ ونهور لذلك يكون « الأنهر » خطأ ابن منظور لسان ، م 3 ، ص 728 .

(16) الرّحي تجمع على أرح وأرحاء ورحيّ ورحي وأرحية والأخيرة نادرة لذلك يكون استعمال « الرحاء » خطأ . ابن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 1144 .

(17) المستغلات وردت في الأصل المستقلات وهي لا معنى لها . أما المستغلات فهي من أصل كلمة غلّة ومعناها الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض ، واستغلال المستغلات : أخذ غلتها .وأغلت الضيعة : أعطت الغلّة . ابن منظور : لسان ،ج 2 ، ص 1010 .

(18) فاعل الفعل « قال » ضمير مستتر تقديره من أخبر إبن الصغير من وجوه الإباضية وكثيراً ما يستعمل إبن الصغير هذه الطريقة فيذكر الفعل « قال » أو « قالوا » ويهمل الفاعل .

(19) وردت في الأصل أظهارهم وهي خطأ لأن جمع « ظهر » أظهر وظهور وظهران . إبن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 655 .

امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ، حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين ، واستعملت السبل الى بلد السودان [20] والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ، فأقاموا على ذلك سنتين او أقل من ذلك او اكثر ، والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون فلما كانت السنة الثالثة اجتمعت الإباضية بالمشرق وتراسلوا فيما بينهم ، وقدم القوم وجمعهم البصرة فقال بعضهم لبعض ، اذا اتصلت بهم الاخبار من كل الاقطار مع ما جاءتهم به رسلهم مما عاينوه وشاهدوه ، امامكم بالمغرب خلف من ابي بلال مرداس بن اديسة [21] ومن ابي حمزة الشاري [22]، فلا تدخروا عنه مالا ولا تحبسوا عنه

الازدهار التجاري والعمراني

---

(20) السودان كلمة أطلقها الجغرافيون العرب المسلمون وهم أول من أطلقها على الشعوب السوداء التي تسكن إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والراجح أن الكلمة مستوحاة من لون بشرة تلك الأقوام . وينقسم السودان إلى ثلاث مناطق هي :

السودان الشرقي والسودان الأوسط والسودان الغربي ، ولعل إبن الصغير يشير إلى السودان الأوسط والغربي . أنظر الكتب الجغرافية القديمة مثل بلدان اليعقوبي أو مسالك وممالك الإصطخري وإبن خرداذبة وغيرهم . وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة « السودان » م 12 ، ص 327،334،347 . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 206 وما بعدها .

(21) أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ، من الشراة الإباضية الذين ثاروا ضد ولاة بني أمية في المشرق . أنظر ترجمته في : المبرد أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ، ص 52،82 . الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 214-226 . عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ص 65 وما بعدها .

(22) أبو حمزة الشاري هو المختار بن عوف الأزدي . قام بثورة عارمة في الحجاز في أيام الخليفة الأموي مروان بن محمد (127-132 هـ) . أنظر ترجمته في إبن الأثير : الكامل ، ج 4 ، ص 297،307،314،316 . الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 258-272 . عوض خليفات : نشأة ، ص 117 وما بعدها .

عطاء وابعثوا اليه بجميع ما بايديكم ليتقوى به على دينه ودنياه ، فانكم تنالون بذلك شرفا عاجلا وغناء آجلا ، فأجمع رايهم على ان يوجهوا اليه بعشرة احمال من المال وارسلوا الى رسلهم الاولين وأعلموهم بما جمعوه من المال . وان ذلك كله في سر وخفاء من العمال والاجناد لئلا يطلعوا عليهم فيهلكوهم ، وسألوهم كتمان ذلك فأجابتهم الرسل الى ما دعوهم اليه من حمل الاحمال وتوجيههم بها الى عبد الرحمان ، فلم تزل بذلك حتى اتت البلد ونزلت بالموضع الذي نزلت به أولا ، ثم توجهت نحو عبد الرحمن فوجدوا الامور قد تبدلت واحوال المدينة والاشياء قد حالت وذلك انهم نظروا الى قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست والى ارحاء قد نصبت والى خيول قد ركبت والى حفدة قد اتخذت السور[23] والعبيد والخدام قد كثرت فلما رأوا ذلك تحولت نياتهم الى ان قصدوا قصر صاحبهم فلقوه على ما عرفوا من التواضع فلم يعلموه بما أتوا به ولا ما حركهم اليه حتى لقوا رجالا ممن يثقون بهم في دينهم[24] ويسند اليهم في امورهم فسألوهم عن أحوال عبد الرحمن هل تغيرت وعن احكامه هل تبدلت ، فقالوا بل هو على ما عاينتموه عليه ، ما تغير ولا تبدل ، ثم أعلموهم بما جاءوا به من المال وعدد الاحمال فقالوا لهم ادفعوها اليه فانه لا يصرفها الا في وجهها

المعونة الثانية ورفض عبد الرحمن قبولها

(23) لعل المقصود بالسور هنا هو الأبنية إذ السور هو كل منزلة من البناء ، أنظر لسان العرب ، م 2 ، ص 237 مادة « سور »

(24) وردت في الأصل « أديانهم » وهي ضعيفة .

ومواضعها وما نحسبه يقبلها منكم . فاخذوا بقولهم ثم اتوا عبد الرحمن فسلّموا عليه واعلموه بما قدموا به وبحال من خلفوه من اخوانه فسر بذلك . وسألهم عن احوالهم هل هم مستضعفون ام هم مستظهرون[25]، وهل في سائرهم فقراء او اصحاب فاقة ، أم لا . فأعلموه انهم مستترون غير ظاهرين ، وانهم مستضعفون غير قادرين ، وان بجماعتهم مثل ما بجماعة الناس من الغناء والفقر . ثم وعدهم ان يحضروا المسجد الجامع بعد صلاة الظهر ليعلموا اخوانهم بما قدموا به ، ففعلوا ذلك ، فلما انصرف الناس من صلاتهم . نادى منادي عبد الرحمان ان يتخلف وجوه الناس وينصرف سائرهم ، ففعلوا ذلك ، وكان عبد الرحمن قد أمر الرسل بإحضار المال الى المسجد الجامع ليقف عليه ويرى عدده . ففعلوا ذلك ، فلما انصرف عوام الناس ، وتخلف وجوههم . أمر بالاحمال فاحضرت ، ثم قال للرسل تكلّموا فتكلمت الرسل الى الناس بمثل ما كلمت عبد الرحمان ، فقال عبد الرحمن للناس ما ترون ؟ قالوا الامر اليك . فقال إذ اردتم الامر الي فإني أرى أن ترد هذه الاموال الى اهلها فيدفعونها لمن يستحقها من فقرائهم وضعفائهم . فإنا انما كنا قبلنا ما قبلنا منهم في اول بدء امرهم للحاجة التي كانت بنا اليه والفاقة التي لزمت عوام اخواننا . فالآن اننا مستغنون عن اموال غيرهم . فشق كلام

---

(25) يقصد بهذه العبارة أ إباضية المشرق في إمامة الكتمان أم في إمامة الظهور ارجع لمعرفة هذه الأنواع من الإمامة إلى : أبو حفص بن جميع : مقدمة التوحيد ص 69-72 ، عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، ص 109-113 .

عبد الرحمن على الرسل وعلى جماعة من الناس فعاودوه على ذلك مرة بعد اخرى بالأيمان الغليظة فكرّرها[26] على نفسه الا اقبل منها دينارا ولا درهما ولا أدخل في يدي شيئا من ذلك ، فلما استيأس الرسل والناس من ذلك ، أمر برد الاموال الى اهلها . وانصرف الرسل بالاموال حتى وصلتها ؛ فعظم بذلك عند القوم حظ عبد الرحمن وزاد في قدره ، ورأوا انه لو كان طالبا دنيا لرغب في الاموال ، فعند ذلك رغب القوم في امامته ورأوا انها فرض عليهم[27]، ثم لم تزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار عن الاحوال . والبلد زائدة عمارتها في ذلك كله ، والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت امواله ممتلأة ، واصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب ، واهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم في هلال كل ...[28] من اهل الشاة والبعير ، يقبضون ما يجب على اهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون ، فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعير ، فاذا صارت اموالا دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم امر باحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم امر

النظام الاداري والاقتصادي

(26) وردت في الأصل « فكرها » ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن .

(27) أنظر رواية المساعدات والأحمال من المشرق في المصادر الإباضية ، وتكاد تتفق مع ما ذكره إبن الصغير : أبو زكرياء : سير ،ص 54 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، 45-46 ، الشماخي : سير ، ص 140-141 .

(28) هكذا وردت في الأصل ، ويبدو أن كلمة سقطت لم ينقلها موتلنسكى أو لعلها وردت كذلك في المخطوط الذي نقل عنه .

باحصاء ما في الأهراء[29] من الطعام ، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل اهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه[30]، ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما اشبه ذلك ، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم . ثم إن فَضَلَ فَضْلٌ ، صرفه في مصالح المسلمين . فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عليه ولا طاعن يطعن عليه . الى أن اخترمته المنية ، وأنقضت أيام مدته . وقد كنت وقفت على عدد امارته كم كانت ، ولكن نسيتها مع مرور الايام[31]، وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب . وكان محمود الافعال ، وكان قادرا للقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية الامر اليه بعده .

وفاة عبدالرحمن

(29) الأهراء جمع هري وهو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان . أنظر إبن منظور : لسان ، م 3 ، ص 801 .

(30) إذا كان إبن الصغير يشير إلى أن عبد الرحمن كان يؤثر بأكثر أموال الزكاة أهل الفاقة من مذهبه . فلا شك أن ذلك راجع إلى أن أغلب السكان من الإباضية ، وبالتالي يكون أغلب دافعي الزكاة من الإباضية وزكواتهم تعود إلى أهل مذهبهم كما أن زكاة غير الإباضية ترد إلى فقراء غير الإباضية . أما أن يمنعوها كلها فهذا ما لم تشر إليه المصادر بل تثبت العكس تماماً . وعن حق غير الإباضية في الزكاة في الدولة الإباضية أنظر الدليل والبرهان لأهل العقول لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني . ج 3 ، ص 53-54 . الجيطالي اسماعيل : قواعد الاسلام ، ج 1 ، ص 104 .

(31) تولى عبد الرحمن بن رستم الإمامة مدة إحدى عشرة سنة أي من سنة 160هـ حتى سنة 171هـ ، أنظر الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 99، 101، 159-163 . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 118-119 وأنظر رأيا آخر في : جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 62 .

ولاية عبد الوهاب[32] وما كان من امره

اخبرني بعض الاباضية ان عبد الرحمان بن رستم لما مات ، قامت الاباضية فعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب ، فكان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا ، وعلى يديه افترقت الاباضية ، وافترق كبراؤهم ، وتسمى قوم منهم بالنكار[33] وتسمى منهم قوم بالوهبية[34] ، وهذا الاسم لست اعرفه ، وقد سمعت انهم إنما سموا بهذا الاسم لاتباعهم عبد الوهاب ، والذي اعرف من اسمائهم على ما حدثني به اهل المعرفة ان فرقة منهم يسمون باليزيدية يريدون من اتبع عبد الله بن

---

(32) عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208 هـ) ثاني الأئمة الرستميين أنظر ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير . ص 56 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 47 وما بعدها ، الشماخي : سير ، ص 144 وما بعدها .

(33) النكار : هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري . وسموا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن وثاروا ضده . ولقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الإباضية الأم . والجدير بالذكر أن إبن الصغير يفسر سبب تسمية النكار بهذا الإسم (أنظر الصفحة التالية) تفسيراً مخالفاً لما ذكره المؤرخون الإباضية . فربما هي حادثتان اختلطتا على إبن الصغير ولكن من المؤكد أن الرواية الإباضية هي الأصح والأرجح . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58-65 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48-56 . الشماخي : سير ، ص 146-154 . عوض : النظم ، ص 116 .

(34) الوهبية هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية . وهي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب . وظهرت التسمية إثر فتنة النكار السالفة الذكر . أنظر خاصة عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية ، ص 117 . وهناك من ينسب الوهبية إلى عبد الله بن وهب الراسبي . أنظر جواهر البرادي .

يـزيـد[35] ، وبـالعمريـة يريـدون من اتبـع عيسى بن عمر وبعـده احمـد بن الحسين[36] ، ورايت من يسمى بـالـوهبيـة بميلون الى هذين المـذهبين[37] ويسمون أيضـا بـالعسكريـة ، وهم اهـل العسكر[38] ، وجـل من كان عنـدنـا في البلـد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم ، وكان عبد الوهاب هذا قـد اجتمع الازدهـــار

---

(35) اليزيدية وهم أتباع عبد الله بن يزيد . ولعل ما قـالـه الـدكتور عوض خليفـات من أن النكار سموا باليزيدية نسبة ليزيد بن فنـدين لـه جـانب من الصحـة ومن هنـا فمن المحتمل أن يكون اليزيدية هم النكار لا غير ولعل هذه التسمية أطلقوها على أنفسهم رافضين كلمة « النكار » التي هي تسمية مخالفيهم لهم . ونشير هنا إلى أن الشهرستاني ذكر « اليزيدية » وقـال بـأنهم أتبـاع يزيـد بن انيسه وأن هذا كان يتبرأ من جميع فرق الخوارج ويتولى الإباضية وذكر لليزيدية عدة اعتقـادات باطلة . فندها ابن حزم وقـال بـأن جميع الإبـاضيـة يكفرون من قـال بشيء من تلك المقـالات ويتبرؤون منه ، إلا أن إبن حزم يجعل اليزيدية نسبة إلى يزيد بن أبي أنيسه . أنظر ابن حزم : الفصـل في الملـل ، ج 4 ، ص 188-189 الشهرستـاني ، الملـل والنحـل ، ج 1 ، ص 183 . عـوض خليفات : النظم ، ص 116 .

(36) العمريـة وهم أتبـاع عيسى بن عمر وأحمد بن الحسين . لا نجـد لهم ذكراً في كتب الملـل والنحـل . وقد أشار إليهم أبو زكرياء في سيره ونقل عنه الدرجيني وقال بـأن العمريـة أو العمرانية لا تجمعهم بالإباضية الكلمة من أول الأمر وأنهم يزعمون أنهم إباضية ويسندون مذهبهم إلى عبد الله بن مسعود (ض) وهم تبع عيسى بن عمير . أبوزكريـاء : سير ، ص 58 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 47-48 .

(37) إذا كانت اليزيدية كما قلنا سابقا نسبة إلى يزيـد بن فنـدين النكاري . والعمريـة تنسب نفسها إلى الإباضية وهي ليست منها ، فلا يعقل أن يكون الوهبية ، وهم الإباضية الأصل في شمال إفريقيا ، يميلون إلى هذين المذهبين كما يقول إبن الصغير . والذي نراه أن معلومات إبن الصغير فيما يخص المذاهب والفرق التي انشقت عن الإباضية . معلومات مرتبكة لا دقة فيهـا . وقـد أشرنـا إلى هذا في مسألة « النكار » (أنظر هـامش 33 صفحـة 37) ويتضح هـذا الارتبـاك أيضـاً في قـولـه وهذا الاسم لست أعرفه ... والذي أعرف من أسمائهم على ما حدثني به أهل المعرفة ... » . وقد هذا النص .

(38) العسكريـة وهم أهل العسكر كما يقول إبن الصغير ويضيف بـأن جـل من كان في تيهرت من النفوسيين يتسمون بهذا الإسم . فلا شك إذن أن تكون هـذه التسميـة تسميـة وظيفيـة وليست مذهبية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، خاصة وأن ابن الصغير جاء بها في معرض حديثه عن الافتراق في الإباضية والمذاهب المنشقة . فالعسكرية إذن هم حماة الرستميين والإباضية ولا أدل على ذلك من قول الإمام عبد الوهاب : « إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتـة » فنفوسـة إذن كانت جند وعسكر الإمامة الرستمية .

والرخاء ايام حكمه

له من أمر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع للاباضية قبله ، ودان له ما لم يدن لغيره ، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله ، ولقد حكى لي جماعة من الناس انه قد بلغت سمعته الى ان حاصر مدينة طرابلس وملأ المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك وامور الناس مجتمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليه ولا طاعن ، الى ان حدثت الفرقة ولم يكن لأبيه عبد الرحمان كتاب معروف من تأليفه ، وكان لعبد الوهاب كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل[39] ، لأن نفوسة كتبت اليه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت عنه ، وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن ، الى ان لحق الفصل فاخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه .

---

(39) يذكر الأستاذ محمد علي دبوز هذا الكتاب باسم « نوازل نفوسة » ويقول بأنه لا يزال موجوداً في مدن ميزاب وجبل نفوسة وجربة . وقد رأينا كتاباً بهذا العنوان في مكتبة الشيخ بلحاج بالقرارة ، تصفحناه كله وهو يحتاج إلى تحقيق نسبته إلى عبد الوهاب . وقد قام الشيخ اطفيش امحمد بترتيبه . أنظر دبوز : المغرب الكبير ، ج 3 ، ص 272-273 . والبرادي : الجواهر . ص 219 .



بيان السبب الذي كان له وجه الافتراق

اخبرني غير واحد من الاباضية وغيرهم ، أن قبائل مزاتة وسدراته وغيرهم ، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع الى مدينة تاهرت واحوازها لما حولها من الشلأ[40] وغيره ، وأنه لما أراد الله تبارك وتعالى من امر شتاتهم ما اراد انتجعوا اليه في سنة الفرقة اكمل انتجاع ما انتجعوه[41] قط ولو مرة ، وكانوا اذا انتجعوا دخل وجوههم ورؤساؤهم المدينة ، فيبرون ويكرمون ثم يخرجون الى شياههم وبعيرهم فيقيمون بها الى ظعنهم ، وانه لما كان الوقت الذي اراد الله ونزلوا المدينة خلا بهم وجوه اخوانهم ، فخلت مزاتة ببيضات المزاتة ومقاديمهم وخلا كل قبيلة من سكان المدينة بمن انتجع اليهم من رؤسائهم ، فقالوا لهم ان الامور قد تغيرت والاحوال قد تبدلت ، قاضينا جائر ، وصاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا ، وقد جاء الله بكم فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاضيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وان يولى علينا خيارنا ، فاجابوهم

---

(40) الشلا : بقية المال ، ولعل الصواب الكلأ والخطأ من الناقل .

(41) وردت في الأصل هكذا « أكمل انتجاع انتجعوه قط » والتحريف واضح .

الى ما يسألون من ذلك ، فغدوا[42] على عبد الوهاب (أوْفى كانوا)[43] فلما دخلوا عليه تكلم متكلمهم بحمد الله واثنى عليه ، فقال له ان رعيتك قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم ، وولى عليهم خيارهم[44] ، فقال عبد الوهاب : جزاكم الله من وفد خيرا فقدْ تَمَّ من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم ، الامر اليكم قدموا من رأيتم واخروا من رأيتم ، فدعوا له واثنوا عليه ، فقالوا خيرا ثم انصرفوا ، فلما انصرفوا دخل على عبد الوهاب وجوه رجاله وقواده واهل بطانته ، فقالوا : ما بال اخواننا اتوك اليوم بأجمعهم فأخليت لهم مجلسك وحجبت من سواهم ؟ فذكر لهم ما قالوا له وما أشاروا عليه ، فقالوا له : وما أجبتهم به ؟ فذكر لهم جوابه ، فقالوا له : أسأت الى نفسك والينا والى جميع اخوانك ورجالك ، فقال : وكيف ذلك وما سألوا شططا وما قالوا الا خيرا ؟ فقالوا : ليس نظرهم عند ما قلت ولا معناهم عند ما رأيت ولكن سألوك ان تعزل قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك ، فاذا فعلت ذلك شكروك وحمدوك ، ثم اتوك بعد ذلك فقالوا لك ان المسلمين قد نقموا عليك اشياء او على ولديك ، فان اجبتهم الى ذلك شكروك وحمدوك وان ابيت لهم من ذلك خلعوك ونبذوك ، ثم لا تأمن ، ولو اجبتهم

(42) وردت في الأصل فعدوا .

(43) هكذا وردت ، وهي شبه جملة زائدة لا معنى لها إلا أن تعني الكثرة إذا ما أضفنا إليها « ما » وتصبح « أوفى ما كانوا » ورغم ذلك تبقى غامضة ركيكة .

(44) وردت في الأصل « وولى عنهم » وهي لا تؤدي المعنى المقصود

الى كل ما سألوك ان يأتوك فيقولوا لك ان المسلمين في ابتداء امرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم امرهم . فان اجتمعوا عليك جملة فزت بحظك وكان ذلك زيادة لك في شرفك ، قال : فما الذي افعل الآن فقد تقدم من جوابي لهم ما تقدم ، وقبيح لمثلي ان يرجع فيما قال ، فقالوا : لا عليك نحن نذكرك ان شاء الله ، فقال اذكروا على بركة الله ، فقال القوم : يأتونك بالغداة ويستخبرونك قلت لهم الامر على ما كنت معكم عليه الا ان لنا ولكم اخوانا لا غنى لنا ولكم عنهم ، يحضرون خلع من خلعتم ، وعزل من عزلتم ، وتقديم من قدمتم فاذا قالوا لك ما في هذا من بأس فابعث الينا فنحن نكفيك الجواب ، فحمد لهم عبد الوهاب قولهم وشكر لهم فعلهم ، ثم قال : انصرفوا على بركة الله ، فلما كان الغد ، غدا القوم على عبد الوهاب فلما دخلوا عليه واخذوا مجالسهم ، استخبروه على ما عقدوه معه ، فقال لهم : الامر اليكم غير انه بقي من اخواننا من لا غنى بنا وبكم عنه في عزل من تعزلون وتقدمة من تقدمون ، ويقبح بنا وبكم ان يستأثر بهذا الامر دونهم لأن في ذلك فسادا لنياتهم وتغييرا لقلوبهم ، فقالوا : صدقت وبررت احضرهم فانهم سيجمعون على ما عقدناه ، فأرسل اليهم ، فلما دخلوا واخذوا مجالسهم ، اقبل عبد الوهاب على القوم فقال : اخبروا اخوانكم بما جئتم به وما سألتموه ، فاخبروهم بما كان من رأيهم ورأي امامهم ، فقالوا جزاكم الله عن الاسلام وعن المسلمين خيرا ولكن بقي شيء أنتم تعلمون انه لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة تظهر عليه ، ولا

يجب عزل القضاة ببغي البغاة وسعي السعاة فأفحم القوم ولم يكن عندهم جواب ، الا ان قالوا ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالامس ، ما هذا الا رأي حدث او امر أبرم ، ثم خرجوا حتى اتوا الكدية[45] المعروفة بكدية النكار وخرج اليهم من هو مثل حالهم وحلفوا الا يدخلوا العرب[46] او يعزل ما سألوا عزله ويحاكموا عبد الوهاب ومن معه ، فسموا من ذلك اليوم النكار ، وسمي الموضع بكدية النكار[47] ، ولما علم عبد الوهاب بمقامهم وحاجتهم وانهم غير مقلعين عما ذكروه او يحاكمونه ، جمع وجوه رجاله ورؤساء مقالته فاستشارهم فأجمع رأيهم على ان يبرزوا اليهم بعد الاعذار والانذار اليهم ، فأعذروا اليهم فلم يجيبوهم الى شيء مما عرضوه عليهم ، وخوفوهم سوء العقوبة ، فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم ، فما كان الا كلمح بالبصر الا وجميعهم صرعوا ، الا من شد وولى ، ولم يتبعوا موليا ولا أجهزوا لهم على جريح ، ثم انصرف عبد الوهاب نافلا بمن معه وولت القبائل الداعية الى مواضعها ، واستملك الامر لعبد الوهاب وبقيت حزازات النفوس في قلوب عشائر من قتل ، ثم اشتد امر عبد الوهاب وقوي عليه وانتقل من حال الامامة الى حال الملك .

فتنة النكار

---

(45) الكدية هي المكان المرتفع عن الأرض وهي أيضا صلابة تكون في الأرض ، ولعل المقصود بها ههنا المكان المرتفع في مدينة تاهرت . أنظر إبن منظور : لسان ، ج 3 ص 232 .

(46) هكذا وردت في الأصل ولعلها محرفة من العرض أي الناحية أو لعلها الحرب وتكون « وحلفوا إلاّ يدخلوا الحرب أو يعزل ما سألوا عزله » .

(47) لا نجد هذه الرواية في المصادر الإباضية . ولقد ذكرنا أن تسمية النكار تختلف عند الإباضية عما ذكره إبن الصغير . والرواية الإباضية في رأينا أرجح ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48 وما بعدها . الشماخي : سير ، ص 146 وما بعدها .

الافتـــراق الثاني

اخبرني بعض الاباضية ان جمع النـاس من هوارة وغيرهـا من القبائل ، كانوا بازاء مدينة تاهرت ، وكان لهوارة رؤساء مقدمون يقـال لهم الاوس ويعرفون بعـد ببني مسـالـة ، قـد ذكر لي بعض الاباضية انـه كانت ابنـة جميلـة لبعض رؤسـاء البربر اما لواتة او غيرهم ، فخطب مقدم الاوس على نفسه او على ابنه فاجابوه الى ذلك . وان بعض من كان يناويء ببني اوس من هوارة . سعى الى عبد الوهب فقال له ان فلانا قد خطب على نفسه او على ابنه ابنة فلان ، وقـد علمت مكانـه من قومه ومقامـه عنـد الخـاص والعـام من النـاس ، وإني لا آمن ان يزوجه ابنته . فاذا زوجه ايـاهـا وقعت المصاهرة ، واذا وقعت المصاهرة صـارت نسبـة واذا انضمت قبيلـة الى قبيلة ناوأك في البلـد.. ولكن اخطب الى هـذا الرجل ابنتـه اما على نفسـك او على ابنـك او على من سوف يؤثرك عليـه لسلطـانـك ، فـأرسـل عبد الـوهـاب الى الرجـل فـأحضره فأجلسه ، وخطب اليه ابنته فزوجه ايـاهـا ، فـاتصل ذلـك بـالاوس فقـال عمـل علي في جـاريـة خطبتهـا ورضي الي بتزويجها فانتزعها مني بسلطانه ، لا أسألت بأرض هو بها☆ ، وغضبت عشيرتـه لغضبـه ، فـارتحـل نحـو المغرب حتى نـزل

☆ هكذا وردت وهي ركيكة .

وادي هوارة وبينه وبين المدينة نحو من عشرة اميال او
اكثر . فعمروا النهر من اعلاه الى موضع اذاك قبائل من
منهم اسم هوارة . واحسب انه كان تقدم لهم عشائر من
... نزولهم بهذا الموضع وتألف اليهم من نحا نحوهم وهوى
هواه . ثم لم تزل السعاة تمشي بين الفريقين حتى اوقدوا نار
الحرب . فحدثني بعض الشراة عمن تقدم من آبائه أن اول
... خرجت لهوارة اصابت ولدا للبغال بدشرات[48] بنهر
... له نهر ابي سعيد الله فقتلوه . فلم يجزوا له راسا ولا
... له ثوبا ولا اخذوا له فرسا ولا سرجا ولا لجاما .
... . وثارت الصيحة الى المدينة فابتدر الناس فأصابوا
الغلام قتيلا . ووجدوا فرسه واقفا عليه بسرجه ولجامه
ووجدوا ثيابه خلفا . فاغتموا لذلك اذ لم ياخذوا له سلبا .
... بعضهم لبعض افتقدوه فافتقدوه فأصابوا خاتما قد زال
من يده فكبر القوم وقالوا قد استحلوا الاموال وحل قتالهم .
... حملوا قتيلهم وصلوا عليه وواروه ثم اخذوا في التهيء
للحرب والخروج الى عدوهم . فاجتمع الى عبد الوهاب امم
كثيرة وخلق عظيم . واتصل خبر عبد الوهاب بهوارة ومن
الفها من الاباضية انه عد في عسكره الف فرس ابلق . قالوا
وخرج عبد الوهاب رضي الله عنه بعساكره من المدينة في
جموع لا يعلم عددها الا الله . قال واتصل خبر خروج عبد
الوهاب ببني أوس فجمعت جموعها وعبت كتائبها على نهر

خروج عبدالوهاب لقتال بني أوس

---

(48) دشرات : لا يذكر إبن منظور هذه الكلمة وكذلك إبن دريد في جمهرة اللغة والزبيدي في تاج العروس ونعنى تعنى ضيعة باللهجة العامية في المغرب .

☆ لم نفهم معنى «ولدا للبغال» والمرجع يقصد به آدمياً .

يقال له نهر اسلان[49]، قالوا وكان عبد الوهاب اصابته ريح فامر براحلته فرحلت وجعل عليها محملا وجعل عديله رجلا من نفوسة وقائد راحلته رجلا من نفوسة ، قال وكان القائد ربما عجل ، ويقول الجمال رويدا مرددا[50] فيقال له ويحك انما قيل رويدا ، فيقول هو ذاك فلم يزل يسير حتى تراءت العسكران قال فعبأ عبد الوهاب عسكره ، ورتب قواده وعبأ بنو اوس هوارة على مراتبها وغيرها ممن اطاعهم ، قال ثم جالت الخيل فكان قتال شديد له غبار سد ما بين الخافقين ، قال وعبد الوهاب ينظر يمينا وشمالا او قلبا فاذا صرف نظره ذات اليمين راى فارسا فيقول من الفارس هذا قد أجفل[51] الناس ؟ فيقال له ابنك افلح ، قال واذا صرف بصره ذات اليسار رأى مثل ذلك فيقول من الفارس ؟ فيقال له ابنك أفلح ، قالوا واذا صرف بصره في القلب رأى مثل ذلك فيقول من الفارس ؟ فيقال له ابنك أفلح ، قال لقد استحق افلح الامامة ، فكان اول يوم عقدت له الامامة . قال فلم يزل الناس يقتتلون لا يولي بعضهم لبعض الدبر الى ان سال الوادي ذلك اليوم دما فيما قيل .

شجاعة أفلح

فلما رأى عبد الوهاب الفريقين ، كان ينادي بأعلى صوته يا دينار زم الخطام وتقدم قدما ، فكلما تقدم دينار قدما فزع النفوسي زميل عبد الوهاب ، فخف جانبه من

---

(49) نهر اسلان ربما هو النهر الذي يذكره البكري في شرق مدينة إسلن التي تبعد عن تاهرت غربا بأربع مراحل . أنظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . ص 90،89،79 .

(50) في الأصل رُويداً مردد .... وهو تحريف ظاهر

(51) وردت في الأصل ... جفل ...

ولاية أفلح بن عبد الوهاب[55]

فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم . ونشأ له من البنين ما لم يكن لغيره ممن قبله . وطار له الصيت واتته نفوسة الجبل يسألونه أن يقدم عليهم من رآه . ولم يكن الشراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته . ولا في اعشاره . وكان أول ما امتحنته الشراة ان قاضيا من قضاة ابيه مات في ايامه فاجتمعت اليه وسألوه ان يولي القضاء من يستحق ذلك ، فقال لهم أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ، ثم اعلموني به أجبره لكم واعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم ، فقلبوا امرهم فلم يرتضوا احدا منهم ، واجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل اوراس ، فأتوا الى أفلح بن عبد الوهاب فقالوا قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرتض احدا منا وقد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري الساكن بجبل اوراس لخاصتنا وعامتنا ودیننا ودنيانا ، فقال أفلح ويحكم دعوتم الى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه ولكن هو رجل نشأ في بادية ولا يعرف لذى القدر قدره ولا لذى الشرف شرفه ،

محكم الهواري وتوليه القضاء وعدله فيه

(55) أفلح بن عبد الوهاب (208ـ258 هـ) ثالث الأئمة الرستميين . أنظر ترجمته في المصادر الإباضية أبو زكرياء : سير ، ص 85 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 72 وما بعدها الشماخي : سير ، ص 192 وما بعدها .

الحمل ، ومال جانب عبد الوهاب ، فقال ما بال الحمل ؟ فيقال له فزع زميلك ، فيقول ثقلوه بحجر ، فيجعل مع النفوسي في الحمل حجراً ، ثم ينادي عبد الوهاب يا دينار زم الخطام ثم تقدم قدما وهو في ذلك كله قاصد بكتيبته نحو عدوه وجانب النفوسي في ذلك يخف وجانب عبد الوهاب يثقل ، وهو يأمر كلما خف ان يجعل حجر في جانب النفوسي ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك حتى فض جميع القوم بكتيبته واعطوا الادبار ، وقتل في ذلك اليوم خلق كثير وامم من الامم ، وكان القتل في هوارة افظع واشنع ، وقيل رحلوا بجبل ينجان . وقيل بعد ذلك ، والله اعلم[52]، ورشح افلح للامارة وانقطع اليه المنقطعون . ودارت اليه الحوائج والعطايا[53] من تحت يديه فلم يزل كذلك وعلى ذلك حتى اخترمت عبد الوهاب منيته . فلما مات عبد الوهاب[54] صارت الخلافة لأفلح .

ترشيح أفلح

(52) لا نجد ذكرا لهذه الرواية في المصادر الإباضية . في حين أن هذه ذكرت القتال الذي كان بينهم وبين الواصلية من المعتزلة ولم يذكره ابن الصغير

(53) وردت في الأصل ... والعط ...

(54) لا يتفق المؤرخون على سنة واحدة لوفاة عبد الوهاب . ويبدو أن ابن عذارى مخطيء في تقديره إذ يجعلها سنة 188 هـ . وكذلك الباروني الذي يرى أنها سنة 190 هـ بينما يبدو الصحيح هو ما قاله جورج مارسيه وزامباور . إذ جعلها سنة 208 هـ . أنظر ابن عذارى : البيان . ج 2 . ص 197 . الباروني : الأزهار . ج 2 . ص 161 . زامباور : معجم الأنساب والأسرات . ج 1 . ص 100-101 . جورج مارسيه : دائرة المعارف الاسلامية (مادة بنو رستم) ج 10 . ص 93 . Provençal E. Levi: Histoire de l'espagne musulmane. T1. p. 224-245
وأنظر كذلك جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية . ص 65 .

امامكم فاعلموه بما اعلمتم به وشاوروه في أموركم ، فقالوا قد فعلنا فقال على بركة الله ، فأنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء فاشتروا له خادما صفراء [56] واجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي املوها منه ورجوها عنده [57] . فبينما هو على ذلك من امره ، اذا تنازع ابو العباس أخو أفلح المشير له والمرغب فيه وصهر الامام أفلح في أرض ، فارتفعا [58] الى أفلح أبو العباس أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلاكما يعز علي ولكن ارتفعا الى محكم ، وكان ابو العباس يحب ذلك لتقديمه للحكم وايثاره اياه وكان الآخر يكره ذلك ويحب ان لو كان أمرهما عند أفلح ، فاغتنم ابو العباس كلام أفلح وبادر الى بغلة له شهباء هملاجة [59] فركبها وكان صاحبه على رمكة [60] بطيئة المشي فأتى أبو العباس محكما فوجده خاليا في سقيفة داره ولم يرَ مَعَ ابي العباس احدا ، فأجلسه محكم الى جنبه واقبل عليه يحدثه ، وخصمه تخلف على دابته فبينما هما كذلك اذ اقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رأى ابو العباس

---

(56) لا ندري ما المقصود بالخادم الصفراء مع العلم أنها وردت في الأصل هكذا : خادماً صفرا ، ولعل المراد به الخادم الشديد السواد لأن العرب يستعملون الصفرة أيضا للسواد . أنظر إبن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 448 .

(57) لا نجد ذكراً لهذه الرواية في المصادر الإباضية اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلا عن إبن الصغير وهو شيء قليل جدًا .

(58) وردت في الأصل « فارفعا » ولعلها تحريف .

(59) هملاجة : كلمة فارسية معربة وتعني حسن سير الدابة في سرعة وبختره ويقال دابة هملاج ، ابن منظور : لسان ، ج 3 ، ص 831 .

(60) رمكة : هي الأنثى من البراذين التي تتخذ للنسل . ابن منظور : لسان ، م 1 ، ص 1227

وإن كان ليس احـــــد منكم يحب ان يظلم ولا يظلم ولكن تحبون ان يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لانفسكم قالوا فانا لا نرضى لقضائنا احدا غيره ، فقال الذي حدثني اخبرني ان أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس . فقال أفلح اما اذا أبيتم غيره ، بعد نصيحتي فيكم ، فابعثوا رسلكم اليه على بركة الله ، فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منهما بعد اثبات بسم الله العظيم ، « اما بعد فقد نزل بـــــالمسلمين امر لا غنى بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللحوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين » .. فلما ورد كتاب القوم على محكم ورسلهم ، أتى الى دابة له وركبها وأخذ كساه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد وقصد المسجد الجامع ونزله ، فابتدر اليه اصحابه فاحاطوا به ، وقالوا ان فلان ابن فلان القاضي توفي وقد اجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك ، واعلم انك مهما تخلفت عما دعوناك اليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حاله ، وكل فرج يوطأ بغير وجهه ، فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين عما دعوك إليه ، فانك إن خالفتنا أجبرناك وإن أطعتنا شكرناك ، فقال لهم إن الحق مر ، أمر من شرب الدواء ولا يشرب الدواء الا كرها ، وانتم مرفهون ابناء نعم وغيرتي أحب اليكم مني وقد نصحتكم فاقبلوا نصيحتي ، وذكروا كلاما يطول ثم قال فاذا ابيتم الا هذا فارجعوا الى

افلح قد عمر في امارته ما لم يعمر احد ممن كان قبله ، فأقام خمسين عاما اميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد وبنى الجفان واطعم فيها ايام الجفان[63] وقد تقدم ذكرها قبل هذا ، وعمرت معه الدنيا وكثرت الاموال والمستغلات واتته الرفاق والوفود من كل الامصار والافاق بأنواع التجارات ، وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة واجروا الانهر[64]، فأبتنى ابان وحمويه القصرين المعروفين لهما باملاق ، وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره ، مما يطول ذكره ، ولقد حدثني بعض من اثق به ان ابان وحمويه خرجا يوما الى قصورهما متنزهين ومعهما جماعة اخوانهما ، فذكر بعضهم انه قال لما اشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فاعلموا سكان القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليهما فوالله ما رأيت شرافة من القصرين الا عليها ثوب أحمر وأصفر على الجدار كالبدور ، وانتشرت القبائل وعمرت العمائر

---

(63) لعل الصواب « أيام الجفاف » مع أننا لا نستبعد كلمة أيام الجفان لأن الجفاف في الغالب يكون التعبير عنه بسنين الجفاف وليس الأيام . كما أن قول إبن الصغير « بني الجفان » بدل صنع الجفان يعبر عن نظام للإطعام في أيام معلومات والدليل على ذلك قوله (إبن الصغير) « وقد تقدم ذكرها قبل هذا » أي تقدم ذكر أيام الجفان . هذا مع العلم أنه لم يتقدم أي ذكر لأيام الجفان أو الجفاف وربما توهم إبن الصغير واعتقد أنه قد ذكرها . وبذلك فقدنا معلومات مفيدة عن أيام الجفان . والجدير بالذكر أن إبن الصغير أشار إشارة عابرة إلى « أوان الطعام » لما تكلم عن جباة الضرائب وعمال الزكاة الذين يخرجون في أوان الطعام . إرجع إلى صفحة 35 .

(64) سبق أن ذكرنا أن كلمة أنهر خطأ والصحيح أن يقال أنهار ونهر ونهور . إبن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 1144 .

خصمه قد نزل نادى بأسم جارية محكم فاستسقاها ماءً ليرى خصمه دلالته على القاضي ليودعه بذلك . فلما صار القدح الى الجارية قال الخصم في نفسه الى من احاكم ؟ خصمي جالس الى جنب القاضي ويستسقي الماء من داره وانا ملقى على باب الدار لا يلتفت الي ولا ينظر نحوي ، قال ثم حانت منه التفاتة فاذا بالرجل جالس ، فقال ما بالك يا هذا وما قصدك ؟ فقال له جئت خصما لابي العباس فوجدته جالسا الى جانبك فجلست موضعي هذا ، قال فغضب محكم على ابي العباس فقال يا ابا العباس تأتي مع خصمك فتجلس الى جنبي دونه وتستقي الماء من داري على يد جاريتي ، يا غلام خذ بيد ابي العباس واقعده مقعد خصمه ولا يبرح ، وخذ بيد خصمه واقعده إلي ، ومر الجارية فلتسقه ماء ، ففعل الغلام ما أمره به ، فخرج ابو العباس مغضبا حتى دخل على اخيه أفلح فلما رآه ، قال له مالك وما عراك ؟ قال نزل بي من هذا الهواري الشرس[61] الجافي ما لم ينزل بأحد ، فقال وما ذلك ؟ فدل عليه القصة من أولها الى آخرها ، فلما فرغ من كلامه ، قال له يا ابا العباس قد كنت اعلمتك بهذا من قبل ، والصواب ما فعل والحق اولى ان يؤثر ، ولو فعل غير هذا لكان مداهنا ، فاتصل ذلك من كلامه بوجوه الاباضية فأعجبهم وسروا به[62]، وكان

عدل أفلح وازدهار دولته

(61) وردت في الأصل هكذا « الشر الجافي » وهي تحريف .

(62) وردت في الأصل هكذا « وأسرّوا به » وهي خطأ ظاهر . كذلك لا نجد مثل هذه القصة في المصادر الإباضية ومن هنا قيمة كتاب إبن الصغير .

فتزيل ملكه ، فلما رأى ذلك أرش[69] ما بين كل قبيلة ومجاورها فارش بين لواتة وزناتة وما بين لواتة ومطماطة وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب ، وصارت كل قبيلة ملاطفة لأفلح خوفا من ان يعين صاحبتها عليها . فيا قالوا ، والله اعلم فيمن رأى ذلك[70]. استلقى على ظهره منا ومد يديه ورجليه مطمئنا ، وعلم انه قد كفى امرهم وبقيت تلك الضغائن في الصدور الى ان اخترمته المنية[71]، وكان ابنه ابو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوبا الى الورع فسأل اباه ورغب اليه في ان يأذن له في الحج فيخرج مع قافلة الناس حتى ورد مكة ، فلما طاف وسعى كشفته رسل بني العباس ، اذ قدموا معه من عندهم وقيل لهم ان ابن مقدم الشراة قد قدم من المغرب من عند ابيه يرتاد البلاد ويرسل رسله في كل الافاق الى من كان على رأيهم ومذهبهم ليأخذوا الى انفسهم

سفر أبي اليقظان الى المشرق وحبسه وماكان من أمره هناك

(69) أرّش حمل بعضهم على بعض في حرّش .

(70) يشير هنا إبن الصغير إلى أمر خطير وهو إتهام الإمام أفلح بسياسة فرّق تسد ، وواضح من كلماته الأخيرة أنه يستبعد مثل هذه السياسة عن الإمام أفلح ولا يريد أن يتحمل المسؤولية لذلك يقول « ... فيا قالوا ، والله أعلم فيمن رأى ذلك » وانظر وداد القاضي : إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، ص 44 .

(71) سبق وأن ذكر إبن الصغير في صفحة 53 أن الإمام أفلح شمخ في ملكه خمسين عاما وبالتالي تكون وفاته سنة 258 هـ أي بعد 50 سنة من وفاة أبيه عبد الوهاب أما أبو زكرياء والوسياني وغيرهما فيذكران أن إمامة أفلح كانت ستين سنة في حين أن الدرجيني يجعلها تسعة واربعين سنة . أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 96 ، الوسياني : مخطوط ، ورقة 39 ، الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 320 أما في الجزء الأول من نفس كتاب الدرجيني فيكرر ما قاله قبله كل من أبي زكرياء والوسياني أنظر صفحة 83 من طبقات الدرجيني . وأنظر رأيا آخر : جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية ، ص 66 .

وكثرت الاموال بايديهم ، وكانت العجم قد ابتنت القصور ونفوسة قد ابتنت العدوة والجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم ، وأمنت الساحات وكثرت الاموال حتى اطغت[65] اهل الحواجر[66] والبوادي ، لقد حدثني غير واحد إنه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابتنى سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة افلح اذا تخلل بالمدينة لافتقادها لم يجسر[67] ان يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة ، قال وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة[68] وكانت نفوسة تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق ، وكانت الاجناد بطانة السلطان واولاده وحشمه ، وكان لأفلح اولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة ما يستحق به كل واحد منهم الامامة ، الا ان الناس يترشحون من جمعهم الا اثنين احدهما يكنى بابي بكر والآخر يكنى بابي اليقظان ، وبهاتين من الكثير يعرفان . وكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما إكتسبت الاموال واتخذت العبيد والخيول قد نالها من الكبر ما نال اهل المدينة حتى خاف افلح ان تجتمع الايدي عليه

(65) وردت في الأصل « أطفت » وهي تصحيف .

(66) أهل الحواجر ربما هم أهل الحجر وهم سكان البادية في مواضع الأحجار والرمال كما يقول إبن منظور في لسان العرب ، م 1 ، ص 571 أو لعلها أهل الحواضر .

(67) وردت في الأصل « لم يجبس » وهي لا تنسجم مع سياق الكلام .

(68) مجانة : لم نفهم وضعها في سياق الجملة لأنها مرتبكة ولعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى أنظر البكري : المغرب ، ص 145.63 ، الحموي ياقوت : معجم البلدان ج 5 ، ص 56 .

حولنـا ، واذا بـالخليفـة قـد قتـل ، وقـدم صـاحبي الـذي في الحبس معي مكانـه ، قـال فمـا شعرنـا ان دخلت لـه الصقالبة [77] والاجناد علينا فـاختطف من بين أيـدينـا ، ولم يسم من حدثنا من كان الخليفـة المقتول ولا من كان الخليفـة القائم ، قال فلما استقل الملك بصـاحبي وقعـدت قواعـده أمر بي فـاخرجت وصيرني الى الـوزير فـامره بحفظي وكرامتي والنظر في أمري الى ان اجتمع معـه ، مبرورا مكرمـا ، قـال فبينما انـا ذات يوم عنـده انصرف من قصر الخليفـة فوقف في صحن داري على فرس وخرجت اليـه ووقفت معـه ، فبينمـا نحن كـذلـك اذ اقبل عشرة انـاس فنزلـوا عن دوابهم وبـدروا نحوه يقبلون يده ورجله ، فقال لهم اتدرون في مـاذا أرسلت فيـه اليكم ؟ فقـال لـه اصلح الله الـوزير ليس لنـا في ذلـك علم ، فقـال اذا كان الغـداة فـأحضروني عشرة آلاف فـارس ، فقـالوا نعم اصلح الله الوزير ، قـال فعجبت من قـولـه ومن قـولهم ، وقلت يهـزؤ بهم أو يهـزؤون بـه ، أو أراد ان يظهر لي شيئا اتحـدث بـه في المغرب لا اصل لـه ، قـال فنظر الي وإلى انكساري ، فشعر بي ، فقال لي مالـك يـا مغربي أراك تعـاظمـك مـا سمعت ؟ فقلت اصلح الله الـوزير كيف لا يتعاظمني ، والله اصلحك لو كان ما سألتم دراهم في اكمامهم لما استطـاعـوا إحضـارهـا اليـك بـالغـداة ، وكيف عشرة آلاف

(77) الصقـالبـة ويقصـد بهم الأتراك الـذين كانـوا في هـذه الفترة قـد سيطروا سيطرة تـامـة تقريبـا على الخلفـاء العبـاسيين يولـون من يشـاؤون ويعـزلـون أو يقتلـون من يشـاؤون ، أنظر فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 ، بيروت 1979 .

الى ان يأتيه والده من المغرب ، فحمل ابو اليقظان من مكة وحمل معه رجل من نفوسه كان يخدم له حتى ورد بهما مدينة السلام ، والعامل اذ ذاك المتوكل[72] او غيره ممن كان في عصره ، فأمر بحبسه . قال الذي حدثني ، عن ابي اليقظان انه قال وافق حبسي حبس أخ الخليفة[73]، كان قد نقم عليه ما نقم[74] قال فأمر بنا جميعا فحبسنا في موضع واحد ، قال وكان يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كما يجري على أخيه ، قال فما زالت جارية علي الى ان خرجت ، قال فلما خرجت واذن لي بالانصراف ، قيل لي أنظر الى من توصي بجرايتك[75] يقبضها لئلا يذهب رسمك من عندنا ويعفو ذكرك من دفاترنا ، قال وكان السبب الذي اذن الله بإطلاقي ان أخ الخليفة كان مؤالفا لي في الحبس ، شديد المحبة لي ، فلا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا الا احضرني ، قال وكنت له كذلك ، قال فبينما نحن كذلك[76] وعلى ذلك اذ سمعنا الدنيا قد انقلبت وحركت

---

(72) المتوكل هو الخليفة العباسي العاشر تولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة 232 هـ وقتل سنة 247 هـ من قبل الجنود الأتراك . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 373 . فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، ص 51 وما بعدها . ويستبعد أن يكون المتوكل هو الخليفة العامل إذ ذاك لأن المصادر تذكر أن المتوكل هو الذي سجن في عهد أخيه الواثق .

(73) ربما يكون قد سجن مع الخليفة المتوكل الذي كان قد حبس في عهد أخيه الواثق (227 هـ ـ 232 هـ) أو سجن مع الخليفة المعتمد (256 هـ ـ 279 هـ) في عهد الخليفة المهتدي (255ـ256 هـ) إبن عم المعتمد . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 392 . الطبري : تاريخ ، ج 9 ، ص 155 . إبن الأثير : الكامل ، ج 5 ، ص 278 .

(74) وردت في الأصل هكذا « فانقم » والصواب ما صححناه .

(75) جراية : وهي الجاري من الوظائف . والمقصود بها هنا الدراهم التي كان قد أجراها عليه الخلفاء العباسيون .

(76) وردت في الأصل هكذا « وعلم ذلك » وهو تحريف واضح .

وكنت اقبلت على النفوسي المرفوع معى وقلت لـه اقم لقبض كل يوم مائة وعشرين درهما فـذلـك خير لـك من المغرب ، فأبى ، فقلت له فاذا ابيت فالى من ترى ان نصرف فقال الى فلان بن فلان الخياط فانى كنت اجلس عنده واستريح فيـه واشاوره على أمرك ، فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي بم استحق ذلك منك ؟ قال ، فأعلمته بما قال النفوسي ، قال فأمر به فـأجريت عليـه ، قـال ، وكان النفوسي بعـد ذلـك بتاهرت اذا كربه امر او نزل به ضيق ، يقول لأبي اليقظـان لم اقبل منـك ، ولو قبلت لكان العشرون والمـائـة درهم أعود علي مما أنا فيه ، قال ثم امر الخليفة الوزير بـالنظر في أمري وأمر جهـــازي ، وأمر لى بسرداق [78] فضرب لي ، ثم أمر لي بنفقة وكسوة ، وكتب لي كتبا الى عماله بالأمصـار بـالحفـظ والرعـايـة والبر والإكرام ، فقمت حتى قضيت حوائجي ، ثم خرجت [79]. واما أفلح بن عبـد الوهـاب لمـا فقـد ولـده ابـا اليقظان وعلم انه رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطـال غمـه به فلم يزل مهموما محزونا الى ان وافتـه منيتـه وابنـه محبوس ببغـداد ، واجتمعت الإبـاضيـة فلم يصيبـوا في أولاد أفلـح اذ فقدوا ابا اليقظان ارجح عندهم من ولده ابي بكر .

وفاة أفلح

---

(78) سرداق وفي مكان أخر يذكر سرادق والكلمة سرداق لا تذكرها المعاجم العربية . أما سرادق والجمع سرادقات فهو ما أحاط بالبناء . أنظر ابن منظور . لسان . م 2 . ص 130 .

(79) هذه الرواية اللطيفة عن سجن أبي اليقظان ببغداد وإكرام الخلفاء العباسيين له لا نجد لها في المصادر الإباضية إلا إشارة عابرة . وهي تؤكد حبس العباسيين لأبي اليقظان وإطلاق سراحه بعد أن أحسنوا إليه . أنظر أبو زكرياء : سير . ص 96 . الدرجيني : طبقات . ج 1 . ص 83 . وارجع إلى المقال الذي كتبه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور : جريدة البصائر . عدد 178-179 وعنوانه : السفارات الملكية والعلائق بين المشرق والمغرب . الجزائر . 1371 هـ/1952 . ص 6 .

فارس ! فقال لي يا مغربي ترى هؤلاء العشرة قلت نعم قال تحت كل واحد منهم عشرة ، كم هذا معك ؟ قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك ؟ قلت ألف . قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا معك ؟ قلت عشرة آلاف . قال فانما تخرج هذه العشرة فيدعو كل واحد منهم من تحت يده فيأمره باحضار عشرة ، ثم يخرج كل واحد منهم من المأمورين فيأمر من تحت يده فيجتمع ذلك كله في اقل من لحظة عين ، ولولا سحت هذه الارزاق يا مغربي واخذها لما صببنا هذه الاموال الا في الدجلة والفرات . فأعجبني قوله . وقلت يمكن ما قال ، فبينما أنا كذلك عنده اذ امره الخليفة باحضاري ، قال فلما مثلت بين يديه ، أمرني بالجلوس فجلست ، قال ، فذكر ما كنا عليه بما يرى مني اجتهادا في صلاة وغيرها ، فقال لي إني أحب ان اوليك من المشرق أي بلد اردتها ، فقلت الخيار لي في المشرق دون المغرب أو في المشرق والمغرب ؟ فقال لي ، الخيار إليك في المشرق والمغرب الا أنى اوثر لك المشرق لكثرة خيره ، وأرغب لك عن المغرب لكثرة شره ، فقلت له قد رددت الخيار إلي واذ رددت الخيار إلي فانا اختار ما شئت ، قال ذلك اليك ، فقلت اجمع بيني وبين عيني والدي ، فقال ما تريد بالمغرب من خير ولكن اذا أردت ذلك فالامر اليك ، ثم عطف علي فقال لي جرايتك في الحبس انظر الى من توصى بها لئلا يعفو اسمك من عندنا ، فقلت الى فلان بن فلان الخياط ، رجل بقرب الحبس . قال

ولاية ابي بكر بن افلح[80] ومقتل ابن عرفة[81]

اخبرني جماعة من الاباضية وغيرهم عن ولاية ابي بكر ومقتل ابن عرفة وقدوم ابي اليقظان من العراق ، قالوا : فلما مات افلح بن عبد الوهاب قدَّم الناس ابا بكر ابنه ، واخبرني غير واحد من الاباضية ، قال ، كان عبد العزيز بن الاوز[82] ينادي بأعلى صوته « الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » ، فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقالته . فلما ولي ابو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه . ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح اهل

(80) أبو بكر بن أفلح (258-261 هـ) رابع الأئمة الرستميين أهملته المصادر الإباضية وتوقفت عن ذكر إمامته ، والسبب في ذلك فتنة إبن عرفة التي سوف يذكرها ابن الصغير منفصلة ، ولقد قيل إن الإمام أبا بكر هو الذي قتل إبن عرفة كما قيل بأنه لم يكن حازماً وليس فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله . ولقد ترك الشماخي بياضا في كتابه لما وصل إلى عهد أبي بكر . أنظر السير ، ص 220 . جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 66 .

(81) إبن عرفة محمد من المقدَّمين في بلاط الرستميين في عهد الإمامين أفلح وأبي بكر . صهر إلى الإمام أبي بكر وصهره الإمام ، لذلك بلغ من النفوذ مبلغاً عظيماً في عهده .

(82) عبد العزيز بن الأوز من علماء الإباضية الذين لهم فقه بارع ورحلة نحو المشرق ، ويبدو أنه صريح لا يعرف المجاملة ، وسوف يذكره إبن الصغير مرة ثانية ويروي عنه قصة تدل على قوة ملاحظته . ويبدو أن سفاهة لسانه وخفة عقله ، كما يصفه بذلك إبن الصغير ، مما السبب في إعراض الإباضية عنه وإهمال ذكره في طبقات وسير علمائهم .



طاهر بأبي بكر ، الا ان الكلمة مجتمعة والدعوة واحدة والناس مقيمون على احوالهم ، الا أن الضغائن بين القبائل واهل الحواضر في الصدور على ما كانت في ايام ابيه ، وبين القبائل حروب تهيج ثم تسكن ، والبلد زائدة في العمارة ، الا ان هوارة قد جنبت ورجعت الى مواضعها من الوادي ، الا انه قد وقع بينها ما وقع بين الناس من العداوة حتى تميزت وتباينت وصارت بنو أوس مع من ولاهم ، وتزهقت مع رؤسائهم . فكان الناس على امامهم عليه الى ان قدم أبو اليقظان من العراق فوجد اخاه ابا بكر اميراً والعجم على احوالهم والنفوسة على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه ، فلم يغير شيئا ولم ينكره ولا ادعى امارة ولا نازع فيها احدا ، بل يظهر القيام له والحسبة بين يديه ، وكان ابو بكر يحب اللذات ويميل الى الشهوات فصرف النظر في المدينة واحوازها الى أخيه أبي اليقظان مع ما اظهر له من الكفاية مع أدب المشرق والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم ، وكان ابو اليقظان يركب الى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه ، فمن تكلم اليه من الناس بين العمال والقضاة وصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا واجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره او صغر ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، فتعصب له الشراة[87] لذلك وتعصب له أخوه

عودة أبي اليقظان من المشرق وسيرته وعدله

---

(87) الشراة وهم علماء الإباضية الذين يقومون برقابة سير أحوال الإمام والإمامة بصفة عامة . ويتدخلون لإحقاق الحق وإثبات العدل كلما اقتضت الضرورة ذلك ، وهو نظام خاص بالدولة الرستمية . والكلمة مقتبسة من قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » سورة البقرة آية 207 وأنظر آية أخرى في سورة التوبة آية رقم 111 . والجدير بالذكر أن

المرؤات ويشـابهم على مرؤاتهم ويحب الآداب والاشعـار واخبار الماضين[83] وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيا جميلا جوادا سمحا ، وكان قد وفد على ملك السودان[84] بهدية من قبل افلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجماله وفروسيته اذا ركب الخيل فهز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبّر بالعربية لأن لا تخرج للامساك انما هو فيما بين القاف والكاف والجيم[85] الا ان معناها « أنت حسن الوجه حسن الهيبة والافعال » ، وكان لابن عرفة هذا ، أخت او بنت اجمل منه فخطب اليه ابو بكر بن افلح ودخل بها ، قالوا وكان محمد بن عرفة هذا قد تزوج بأخت ابي بكر ، قالوا فكانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة ، وكان محمد بن عرفة اذا ركب من داره يريد ابا بكر مشى بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم ، وشرقت[86] بذلك الرستمية وغارت به وشرق بذلك كل من

محمد بن عرفة وما كان من أمره

---

(83) لاحظ جيداً هذه الصفات التي يتحلى بها أبو بكر . لتقارنها فيما بعد بسير أحداث فتنة إبن عرفة .

(84) لا نعرف بالتدقيق المملكة السودانية التي كانت تربطها بالدولة الرستمية علاقات تجارية متواصلة . إلا أن المؤرخين يذكرون في القرن الثاني والثالث الهجريين عدة ممالك في السودان الغربي والأوسط وأهمها جميعاً مملكة غانة ومملكة كوكو . أنظر المسعودي : مروج الذهب ، ج 2 ، ص 222-223 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، ص 193-194 . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 219-223 .

(85) لماذا اهتم إبن الصغير بمخرج هذه الكلمة السودانية التي ليست تعبّر بالعربية . فهل يفهم من هنا ان إبن الصغير يعلم اللغة السودانية أو أن هذه متداولة في تيهرت على الأقل بين العبيد ومملوكيهم من الأغنياء والتجار مع السودان . أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 243 هامش 5 .

(86) شرق : الشجا والغصة . إبن منظور : لسان ، م 2 ، ص 305 .

يصلون الى السعي فيه لمكان اخته او بنته عنده ، وكان ابو بكر بها كلفا ولها محبا ، فلم يزالوا يترقبون الفلتات وينتظرون الغفلات الى ان جمعهم يوما الى نفسه لأمر اراد شوارهم فيه ، فلما ظفروا بالخلوة منه قالوا انك ذاهب ونحن ذاهبون ، قال وكيف ذلك ؟ قالوا له ما نحسب انك تعلم مجيء ابن عرفة اذا جاء فيمن يجيء ولا انصرافه اذا انصرف فيمن ينصرف ولا اجتماع الناس عند بابك اذا جاء ولا خلوه اذا انصرف . قالوا المنفرد بهذا الكلام ابو اليقظان خاصة دون سائر اخوته واعمامه فالله اعلم أيّ ذلك كان[91] . فلما سمع ابو بكر شق صدره واراد ان يعلم ذلك ففتح طاقا في اعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها محمد بن عرفة فلما كان بالغداة جلس في الطاق فبينما هو كذلك اذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس اليه من كل جانب وذلك كله بعين ابي بكر واقبل وبين يديه أمم وخلفه أمم وعن يمينه أمم وعن شماله أمم ، حتى اتى الباب ، فنزل ابو بكر من طاقه الى مجلسه وقد هاله ما رأى ، ثم دخل محمد فخلا معه مليا ثم انصرف فصعد ابو بكر الى الطاق فاذا بالامم

تحريض أبي بكر على التخلص من ابن عرفة واثر ذلك

أبو اليقظان وغيره يحجبون عند ما يكون الإمام في حرمته فلأنه لا يجوز لهم شرعاً مقابلة زوجة أبي بكر أخت إبن عرفة ، فزوجة الأخ ليست من ذوات المحارم . من هنا فلا نفهم أن إبن عرفة محظي ومقدَّم عند الإمام أبي بكر على حساب أخيه أبي اليقظان وأعمامه ، كما يريد إبن الصغير .

(91) يتهم إبن الصغير الإمام أبا اليقظان بتأليب أخيه على إبن عرفة . ولما كانت هذه التهمة خطيرة خاصة وأنه أدرك أبا اليقظان وحضرَ مجلسه وقال عنه بأنه كان زاهداً ورعاً ناسكاً سكيناً . لذلك نجد إبن الصغير يتحرج من هذه التهمة وكأنه يستبعدها عن أبي اليقظان في قوله « فالله أعلم أيُّ ذلك كان » . أنظر وداد القاضي : إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية . مجلة الأصالة . عدد 45 ، ص 44 .

فعله . فاذا كان آخر النهار اتى باب اخيه ابي بكر فان وجده جالسا دخل عليه واعلمه بما حدث في يومه من خير وحكم . وان لقيه مشتغلا قال لمن علم انه يصل الى حرمته اقرأ على الامير السلام وقل له اصبحت مدينتك اليوم هادئة وامست هادئة ، واذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة حتى اقصاها ويحكم في الامر الضروري ويأمرهم اذا حدث حادث ان يوافوا داره فاذا حكم جميع ذلك انصرف الى داره فاذا كان بالغداة غدا الى باب أخيه فان وجده جالسا اعلمه بما كان في المدينة من حدث ان كان حدث أو هدوء ان كان هدوء ، فلم يزل كذلك حتى جلب قلوب الناس واستراءت[88] اليه ومالت نحوه ، وفي كل ذلك محمد بن عرفة في دوي وصيت عال لا ينظر ابا اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها ولا ينظر بهيبة له او إجلال او حذر منه ، وكان محمد بن عرفة اذا اتى باب ابي بكر لم يحجب[89] كان ابو بكر في مجلسه او في حرمته ، وكان ابو اليقظان وجميع اخوان ابي بكر واعمامه لا يدخلون على ابي بكر الا بالاستئذان اذا كان في مجلسه والا انصرفوا[90] ، وكان محمد بن عرفة على غير ذلك وكانوا لا

دالة محمد بن عرفة على ابي بكر

-من بين الأنواع الأربعة للإمامة عند الإباضية إمامة الشراء، أنظر إبن جميع : مقدمة التوحيد ، ص 69 وما بعدها ، عوض خليفات : النظم ، ص 112-113 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 79-80 .

(88) هكذا وردت في الأصل ولعل الصواب « واشرأبّت » .

(89) وردت في الأصل « يحج » والصواب ما أثبتناه في المتن .

(90) في الحقيقة لا غرابة في هذا ، فابن عرفة إذا كان يدخل على أبي بكر في مجلسه أو في حرمته دون أن يحجب فلأنه أخ زوجة الإمام أبي بكر وبالتالي فهي من ذوات محارمه ، أما إذا كان-

اقبلت قد انصرفت ، وبقي بابه خاليا ، فتحقق عنده
ما قال القائل ، ثم ارسل الى من ذكر له من امر محمد بن
عرفة ما ذكره ، فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي ؟
قال ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك
وأفسد عليك ملكك لأن مطيعته أكثر من مطيعتك ،
ولكن الطف في أمره ، قال وكيف ألطف في امره ذلك ؟
قال وجه اللطف في ذلك ان تخرج كما تخرج ابدا متنزها معه
ومع غيره وتظهر له انك تريد الخلوة معه والراحة ، وتأمره
ان لا يحضر معه احدا من عبيده ولا من خشمه وتفعل أنت
مثل ذلك الا عبدا من عبيدك ممن تثق اليه في دينك
ودنياك ويكون مع ذلك كافيا متحملا لما حملته ، فاذا
أحكمت ذلك ووعدته على الخروج قد علمته ان خروجكما
بالليل وانصرافكما فيه لئلا تخلط بكم العوام ، فاذا اتيت
متنزهك فأقم فيه نهارك كما تقيم ، فاذا غابت الشمس وقمتما
لصلاة المغرب أمرت غلامك فيه بما تريد ، فقال له ابو بكر
اكتم علي هذا ولا تظهره ودعني أدبر أمري وأتأمل في رأي
هل تطوع نفسي بذلك أم لا ، فاني لا أحسب نفسي تطوع
في ذلك ولا سيما اخته تحتي واختي تحته ، (حتى أنا شككت
في البنت او الاخت)[92] ومتى ما فعلت ذلك تنقصت حالي
وكنت كقاطع كف بكف لما خرني[93] . فقال له الامر اليك

(92) هذه الجملة إعتراضية يخبر فيها إبن الصغير عدم يقينه من أن إبن عرفة تزوج أخت أبي بكر أو بنته . كما احتار هل تزوج أبو بكر بنت إبن عرفة أم أخته .
(93) لعل الصواب « لما ضرّني » بدلاً من خرّني .

وانما علينا النصيحة . وقد علم ابو بكر بعد فوات الامر أن الحسد والبغي أداهم الى ما أداهم لا النصيحة . ثم لم يغالب نفسه وهي تغالبه حتى عزم على غدره ومحمد بن عرفة في ذلك كله اسلم الناس صدرا واكبرهم له حبا ، فأرسل له كما يرسل قبل ذلك وقال له قد اردت الخروج بالغداة الى جنان الامير واردت الخلوة فيه والقيام به الى آخر النهار مع اصراف الحشم عني والعبيد واحب ان تأتي بالغلس مفردا فنصطحب جميعا ، فقال ذلك الى الامير . فلما كان قبيل الصبح ركب محمد بن عرفة من غير أن يعلم أحدا من حاشيته وعبيده حتى أتى بابه وعلم ابو بكر بمجيئه وخرج وقد عهد الى غلامه في الليل ما عهد وأمره بما أمر فسارا جميعا حتى اتيا موضع متنزههما وهو موضع يعرف بجنان الامير فأقاما يومهما ذلك ، فلما كان وقت العشاء وسقطت الشمس قال له تعال نصلي المغرب فننصرف ؟ فأسبغ كل واحد منهما وضوءه واستقبل القبلة فلما احرم محمد بن عرفة أشار ابو بكر إلى غلامه أن امض الى ما أمرتك فضربه بحربة كانت بيده بين كتفيه فخر ساقطا ميتا ، فلما علم ذلك أبو بكر قال لغلامه زمّله بثيابه واحمله على فرسه ، ففعل الغلام ما أمر به وركب أبو بكر فرسه ومشى بين يدي الغلام والغلام خلفه حتى أتى جبلا قد تقسم نصفين له هواء عظيم يعرف ذلك الموضع بالشفة الحمراء ، فقال له ألقه في المهواة فألقاه فيها وأمره أن يغيب فرسه ولا يظهره ،

وانصرفا حتى دخلا المدينة[94] . وأبطأ محمد بن عرفة عن زوجته وأهله وداره فبعثوا رسولا يتجسس لهم الاخبار ويتعرف ان كان وصل ابو بكر الى داره ام لا ، فرجع الرسول فأخبرهم بوصول أبي بكر إلى داره ، ولم يصب لمحمد ابن عرفة خبرا ولا أثرا ، واتصل الخبر بجيرانه وإخوانه وأهل بطانته فباتوا متوحشين خائفين وجلين . فلما طلع الفجر وارتفع النهار ولم يصيبوا له خبرا ولا أثرا خرج الناس مقتفين أثره ومفتقدين خبره حتى أتوا الموضع الذي كان فيه مصرعه فما أصابوا[95] إلا دما قد بات الموضع فعلم أن الرجل أصيب ، فلم يزالوا يتبعون أثر الدم حتى وقفوا على أثر المهواة فأمروا بحبال فأوتي بها فربطوا بها من أدلوهم حتى نزلوا الموضع وأصابوا الرجل على حاله بثيابه فربطوه بتلك الأحبال ورفعوه إلى أعلى الموضع . ثم طلع القوم فأتوا النهر الذي قتلوه به وبعثوا إلى داره وأتوا منها بفرس له وكسوة طاهرة وسيفه فغسلوه في النهر ونظفوه وطيبوه ثم كسوه ثيابه وقلدوه سيفه وحملوه على فرسه وجعلوا خلفه رجلا يحبسه . حتى أتوا به مدينة تاهرت فابتدر إليه العامة والخاصة والنساء والصبيان ولحق الناس من الجزع ما لم

---

(94) إن أبا بكر بن أفلح بالصفات التي سبق وأن ذكرها إبن الصغير نفسه . بعيد من أن ينفذ مؤامرة خطيرة وخسيسة كهذه . لذلك فإن الراجح عندنا هو أن أبا بكر متهم بهذا القتل الذي نفذه غيره وحاول به أن يضرب وحدة الرستميين والإباضية ، ولقد حصل له ما أراد . وفي رأينا أن المناقشة والتحليل الذي قام به الشيخ علي يحي معمر لهذه الحادثة والمؤامرة والتهمة والنتائج التي انتهى إليها منطقية معقولة . أنظر علي يحي معمر : الإباضية بالجزائر ج 4 . ص 45 وما بعدها . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 131 وما بعدها .

(95) وردت في الأصل « فأصابوا إلاّ دماً » .

فتنة محمود بن الوليد

يلحقهم في قتيل قبله ، وقام مناد ينادي بين يديه الا إن القتيل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه ، فعجل الناس بجهازه ودفنه ثم جلسوا حلقا حلقا يذكرون أمرهم ، إلى أن بعث رجل يعرف بمحمود بن الوليد رجالا من خاصته يتعرّفون أحوال الناس وما لهم عليه فرجعت رسله إليه فقالت قد حمي الوطيس وإنّما ينتظرون محرّكا ، فصعد الى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة فضرب الطبل فبادر الناس اليه وامرهم باخذ السلاح والزحف الى ابي بكر وقربه[96] ، واتصل ذلك بابي بكر فابتدر اليه خاصته من السمحيين[97] والرستميين وغيرهم ، وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق ، وزحف قرب أبي بكر وشيعته وخاصته من المغرب ، ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض والرايات حتى اجتمع الناس جملة الاّ يسير بموضع بمسجد أبي[98] .... فلم تزل الأيدي تتطاير والرجل كذلك والهامة تقلع وأمر على الفريقين الصبر ، فلما رأت العجم ما

فتنة العجم وما

---

(96) قربه أي أقرباؤه فإبن الصغير يريد هنا قرب النسب لاقرب المكان على أكبر تقدير .

(97) وردت في الأصل « المسيحيين » وهو خطأ فادح ، والصحيح « السمحيين » مثلما قال بذلك الباروني في أزهاره . وهؤلاء هم أتباع السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، وهم من الإباضية الوهبية الذين قبلوا إمامة عبد الوهاب ورفضوا قفز خلف بن السمح بن أبي الخطاب إلى ولاية نفوسة دون إذن من الإمام بتيهرت وهذا لما توفي عامل نفوسة من قبَل الإمام عبد الوهاب السّمح ، أي والد خلف . وحاول خلف الاستقلال بجبل نفوسة عن الإمامة الرستمية فسمي الذين أتبعوه بالخلفيين والذين رفضوا رأيه ولم يقفوا الى جانبه بالسمحيين . أنظر التفاصيل في : الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 148 وما بعدها وصفحة 231 علماً بأن الباروني اعتمد على مخطوط لكتاب إبن الصغير لديه . عوض خليفات : النظم ، ص 103 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 126وما بعدها ، و ص 135 .

(98) بياض في الأصل .

الخبر على ذلك من قتال واضطراب

ـزل بين الفريقين من السباب والقتل قالوا قد امكننا في ـعرب والجند ومواليهم وأتباعهم ما نريد ، فقوموا بنا مع شتغالهم بأنفسهم حتى نثبت على طرف المدينة فنقتل ـقاتلتهم ونخرب ديارهم ونميل على سائرهم فنهلكهم فيصفو ـنا البلد والسلطان . وقد وقع بينهم وبين سلطان البلد من ـفتق ما لا يرتق أبداً له[99] ، ففعلوا ذلك وكانت الناحية ـتي همّوا بها قد أخذت على أنفسها وخافت مما قدره العجم ـليها ، فلما وافاهم العجم من الناحية المعروفة بموقف ـدواب بدر إليهم القوم فكان بينهم وبينه قتال شديد أصحابهم مشتغلون بأنفسهم كذلك الى ان سقط رجل من ـعجم فاحتزّوا رأسه ، وسير به الى الفريقين وهما يقتتلان ـناداهم وبيده الرأس : يا معشر الجند والعرب تقتلون انفسكم العجم قد دخل عليكم ساحتكم يقتلون مقاتلكم ويستبيحون ـتريكم ، ثم ألقى الرأس فيما بينهم ، فلما نظروا الى الرأس ، ـقوا السلاح من أيديهم وتعانقوا وقاموا بأجمعهم نحو العجم ـقتلوا منهم خلقا كثيراً وقبضوا منهم نفراً يسيراً ، واعتزل ابو يقظان الفريقين وصار الى وعدة[100] نفوسة ، والجند العرب ترى انها ليس لها غير ما ظهر وانه يعين عليها في ـباطن وبقى أبو بكر في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم ـناس به ، وبقيت نفوسة معتزلة عن الفريقين واختلفت

---

(99) هذه كلمة زائدة .

(100) لعل الصواب عُدْوة بدل وعدة ، وقد ذكر إبن الصغير عدوة نفوسة قبل هذا الموضع سوف يعيد ذلك في الصفحة التالية ، والعدوة المكان المتباعد .... إبن منظور : لسان ، م 2 ، ص 714 .

الحرب بين العجم والعرب وكان قد قبض العرب مولى من موالي الأغلب[101] يقال له خلف الخادم وكانت له أموال عظيمة فأعان القوم بنفسه وماله[102] ، ثم لم تزل الحرب قائمة الى ذات يوم وقعت حربة في جوار درب النفوسيين وكانت العرب والجند اذا غلبت على العجم أخرجتها من بعض ديارها في حالها فقال لهم خلف الخادم : وما تصنعون شيئا ، اذا غلبتم على شيء من ديارهم فأضرموه نارا ، فلما كان اليوم الثاني وقع الحرب فيه بجوار درب النفوسيين وغلبت العرب والجند على ذلك الموضع وأزالت العجم عنها[103] واستولت على الدرب وكان أكثره للعجم وبعضه لنفوسه وأضرمت الدرب نارا ، فغضبت نفوسة عند ذلك وقالت وقفنا عند حريهم وأحرقوا ديارنا واستباحوا حريمنا . فعند ذلك حميت نفوسة وصارت كلمتها وكلمة العجم واحدة ، وجبذوا[104] الى انفسهم ابا اليقظان فلما اجتمع امر العجم ونفوسة والرستمية وأبي اليقظان وصار الأمر اليه اشتد الحرب على العرب والجند وضيقت عليهم العجم ونفوسة وأبو اليقظان حتى ضموهم الى اطراف مدينتهم

---

(101) أي الأغالبة حكام إفريقية أو الدولة الأغلبية ومؤسسها هو ابراهيم بن الأغلب الذي استقل بولاية افريقية (تونس حاليا تقريباً) عن الخلافة العباسية سنة 184 هـ/800 م وأقره الخليفة هارون الرشيد على ذلك .

(102) ألا يمكن أن نفهم من هنا أن للأغالبة يداً في هذه الفتنة التي عصفت بالدولة الرستمية ؟

(103) الأصح « عنه » أي عن الموضع .

(104) جبذ جبذاً في العربية مثل جذب جذباً كلاهما صحيح ولهما نفس المعنى : إبن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 394 .

واستولوا على أكثرها ، ثم كانت بينهم وقائع كلها للعجم ونفوسة على العرب ، منها وقعة تعرف بقنطرة الدمتس ومنها وقعة تعرف بقنطرة سليس ، وفزع في هاتين الوقعتين وجوه العرب وصناديدهم ، ثم كانت وقعة تعرف بيوم الرد المعوج ، فيما ذكر ، ان نفوسة فروا بعضها على بعض وقال بعضهم كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا فما وجه الرأي قالوا الرأي ان نضم لرجل[105] بعضنا الى بعض بحبال ونثبت للحرب فكلما دارت الى ناحية درنا معها بوجوهنا ولا نبرح من أمكنتنا حتى يقطع السيوف في هاماتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله ، فكلما دارت الحرب على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى افترق القتال وهو على حاله ، ثم لم تزل الحرب قائمة وأمور العرب والجند تزيد وتقوى وأمور العجم ونفوسة تنقص وتضعف حتى أجلوهم[106] على الامصار واضرموها بالنار ، وصار للعجم ونفوسة والرستميين موضع واحد في العدوة المعروفة بعدوة نفوسة فبنوا حصنهم فيه وشيدوه ، وتبع من العرب والجند توابع من التجار منهم ابو محمد الصيرفي وابن الواسطي وغيرهما من وجوه التجار وهم ذوو أموال ، فقالوا للعرب والجند لو بنيتم حصنا تأمنون فيه ليلكم وتتحصنون فيه إن دهمكم شيء من عدوكم ، وهذه أموالنا في ايديكم ، فشرعوا في بناء الحصن ، ولم يكن بين حصنهم وحصن عدوهم

(105) هكذا وردت ، ولعل الصواب : « أرجل »

(106) الصواب أن يقال « عن الأمصار » .

الا قدر رمية رام بسهم ، إلا أن بينهما نهرا يعرف بالنهر الصغير ، قالوا وربما كان البناؤون يبنون والنبل تصيبهم فيحفلون لهم ستارة حتى استدار حصنهم وركّبوا له أبوابه وعَلّته أبرجته والحرب لا تفتر ليلا ولا نهارا ، وحميت فيما بينهم حمية الجاهلية وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء .

أخبرني بعض المشائخ قال : صفت نفوسة والعجم ومن لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم ، فبرز رجل من العجم يقال له ابن وردة[107] وبيده سيف ودرقة ، وكان كل من مر إلا وقتله ، فنادى هل من مبارز[108] ؟ فهابه الناس الى ان قال ، وان العجم والنفوسة والرستميين ، لما نزل بهم ما نزل تفرقوا في أقاصي البلاد ، فنزلت العجم بموضع يقال له تنابغيلت[109] وهي على مرحلتين من مدينة تاهرت ، وأما الرستمية ومن لف لفها فلحقوا بابي اليقظان بالموضع الذي يقال له اسكدال[110] وهو بقبلة تاهرت على مسيرة اليوم وازيد قليلا في مجتمع الاباضية ، واما نفوسة فنزلت بقلعة مانعة يقال لها اليوم قلعة نفوسة . فنزل محمد بن مسالة[111] تاهرت ، وخرج أبو بكر مع من خرج لا

(107) سبق وأن ذكر إبن الصغير رجلاً بهذا الاسم من العجم ، بل هو مقدم العجم ، فكان له سوق يعرف به لا يجسر صاحب شرطة أفلح على دخوله هيبة .

(108) وردت في الأصل : هل مَن بارز والصحيح : هل مَن مبارز ؟

(109) لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي يبعد عن تاهرت بمرحلتين .

(110) إسكدال لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي به مجتمع الإباضية .

(111) محمد بن مسالة من المنشقين عن الإمامة بتاهرت ، وقد ذكر إبن الصغير في الصفحات السابقة ، لما تطرق إلى الإفتراق الثاني في عهد عبد الوهاب ، وسبب الإنشقاق هو أن الإمام عبد الوهاب تزوج فتاة كان إبن مسالة قد خطبها من أهلها قبل الإمام ، فغضب إبن مسالة لذلك-

خروج ابي بكر وانهزامه

حيًا ولا ميتا ، فلم تزل أمور الناس هادئة حتى وقع شيء بين هوارة ولواتة وكانت لواتة إذ ذاك بالمدينة مع أهل المدينة فتسلطت عليها هوارة بسلطانهم وأعانتها أهل المدينة ، فلمّا رأت لواتة ذلك ظعنت عن المدينة وخلت عنها ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة ، وأرسلت إلى أبي اليقظان فانزلته في جوار منها على مسيرة أميال بموضع يقال له تسلونت [112] ، ومن تسلونت تخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت الذي نصبوا عليه أرحائهم ، وكان أبو اليقظان معه بعض الاموال التي قدم بها من بغداد ، والمدينة بها رجال هواهم وقلوبهم عند ابي اليقظان ، فخرجت اليه فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان ،

إمامة أبي اليقظان

واتته الإباضية من كل الاقطار وبقي بالمدينة أمم ممن لا يوالون أبا اليقظان ولا يرون رأيه ويوالون محمد بن مسالة على عميات لا علم لنا بها ، فتجردت الحرب وعادت جذعة [113] ، وحمل ابو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالإمارة والامامة وألغي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة ، وأبو اليقظان يغزو المدينة وتجرد إليه اهل المدينة فتكون وقائع وقتل له ثم ينصرف فلم تزل حروب كذلك وعلى ذلك سبع

•وغضبت عشيرته فارتحل نحو المغرب حتى نزل بوادي هوارة وبينه وبين تاهرت نحو من عشرة أميال أو أكثر . ولما كانت هذه الفتنة ، استغلها محمد بن مسالة فرجع إلى تاهرت ونزلها . وانظر كذلك اليعقوبي : البلدان ، ص 106 وما بعدها .

(112) هكذا وردت في الأصل ، ولكنها في نسخة الشيخ أبي اليقظان « تاملونت » ولا ندري معتمده ، ولا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع .

(113) وردت في الأصل جزعة بالزاي . واصلها جذعة ، يقال جذع أي قطع .

سنين حتى خلت وذهبت الاموال وعادت كما قال أمرؤ القيس[114] شمطاء[115] وان ابا اليقظان لما رأى من طول الحرب ما رأى كتب الى جبل نفوسة يستفزهم ...[116] .

...[117] جددوا له البيعة وعقدوها له ، وانهم لما نزلت بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظان جمع عظيم فرحل بجميع جموعه من نفوسة وغيرها ، حتى نزل من المغرب من مدينة تاهرت فلما نزل منزله . قالت نفوسة لا نقاتل حتى نرسل الى إخواننا وننذرهم فان جاءوا ورجعوا الى الطاعة كانت أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنا معهم على حكم الله ، قال افعلوا ، ففعلوا فأرسلوا رسلهم وخوفوا الناس من شر العواقب ووجدوهم قد ملوا الحرب فقالوا لرسلهم قد تقدمت فيما بيننا دماء وأموال لا منا ولا منهم ونخشى أن يأخذ الباقي من الغائر فان كان عقدوا صلحا على ان لا يتبع احد بدم ولا مال فسمعا وطاعة ، فأعلمت نفوسة ابا اليقظان بما قالت رسلهم ، فقال معاذ الله ان نأخذ أحدا بما

---

(114) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار . أشهر شعراء العرب في الجاهلية وهو من أصحاب المعلّقات . توفي حوالي سنة 80 قبل هجرة الرسول (ص) . الزركلي الأعلام ، ج 1 ، ص 351 .

(115) وردت في الأصل « شمطا » ويشير إبن الصغير هنا إلى هذه الأبيات لامرىء القيس :

الحرب أول ما تكون فتيّة — تسعى بزينتها لكل جهول

حتى اذا استعرت وشبَّ ضرامها — عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت — مكروهة للشمّ والتقبيل

أنظر ديوان أمرىء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ص 353 .

(116) هكذا وردت في الأصل ، ولا ندري أهو اجتزاء من موتيلانسكي أم هو في المخطوط الذي نقل عنه . وربما الصحيح يستنفرهم .

(117) بياض في الأصل .

سلف ولا آخذ إلا بما يستقبل فأعطوهم على هذا ما احب من العهود والمواثيق ، قال ثم خرجت طائفة من عسكر ابي اليقظان حتى اجتمعت بطائفة من اهل المدينة فعقدوا ذلك فيما بينهم ، فقالت نفوسة نحن انما جئنا لإصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت لطلب علوٍّ في الأرض ولا فساد ، فرحل ابو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروف بقلعة نفوسة فضرب بها سرداقه الذي قدم به من بغداد ، قالوا ولم ير سرداق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقباب ، ثم ان اهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت مزبلة من المزابل وكدية من الكدي فكنسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام فلما فرغت نزلها ابو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة .

دخول ابي اليقظان[118] تاهرت وسيرته

قال لي جماعة ممن شافهني من الاباضية وكلمني ، لما دخل ابو اليقظان المدينة ونزلها كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس ان استصلح لهم قاضيا ، بعد ان شاور جماعة منهم ، فأشاروا به وكان اسم القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ ، ثم ولي على بيت ماله رجلا من نفوسة . ثم قدم على منبره من ارتضاه هو بنفسه ، ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قالوا . فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه ، وإن رأوا دابّة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبه بالتخفيف عنها ، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه . ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم . ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعا يديه . ما خلا المسجد الجامع إن رأوا فيه من رفع يديه منعوه وزجروه فان عاد ضربوه ، وكانت خطبهم على منابرهم

---

(118) أبو اليقظان محمد بن أفلح : (261-281 هـ) هو الإمام الرستمي الخامس. انظر ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 98 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ص 84 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 132 وما بعدها ، جودت عبد الكريم : العلاقات . ص 66 وما بعدها هامش رقم 1 .

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[119] ، ما خلا خطبة التحكيم[120] . فلم يزل قاضيهم محمد بن عبد الله يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقظان وينهى الى نهيه لا تأخذه في الله لومة لائم ، الى ان حدث حدث فأصبح بالغداة إلى أبي اليقظان فرمى اليه خاتمه وقمطره فقال ول على قضائك من تريد ؟ فقال له مالك[121] وما اعتراك ؟ فقال له ما نقمت عليك شيئا ولكن نقمت على بنيك ، فقال ما بال بني ؟ قال خليتهم عالة على الناس ، فغضب أبو اليقظان مما استقبله به ولم يرد عليه شيئا . وكان للقاضي حاسدون ومبغضون ، فلما انصرف من عند الإمام قال لمن حوله اذا كان بالغداة أمضوا الى محمد واسئلوه ما نقم علي ، وعلى من نقم لنزجره لما كان منه . فقدموا اليه فأعلموه ، فقال لهم دعوني من هذا والله لا وليت له قضاء ابداً فانصرفوا عنه وقد وافق ذلك سرورهم لحسدهم إياه وبغيهم عليه ، وأتوا أبا اليقظان فقالوا . أصلح الله الامير ، الرجل به حمق ولك في المسلمين من هو انفع للمسلمين منه ، فلم يزالوا به حتي صرفوه وولوا القضاء رجلا يقال له شعيب بن مدمان ، فقلت يوما لسليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ما السبب الذي كره

القاضي محمد بن عبد الله، وماكان من أمره

---

(119) هذا يتناقض تماماً مع ما ذهب إليه ابن الصغير في ص [illegible] حيث ذهب إلى أن الإباضية أو الرستميين يتبرأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) . إذ لو كان الأمر كذلك لما خطبوا بخطبه على المنبر أيام الجمع . ولعل البراءة من الإمام علي (ض) عند الإباضية قديماً يقتصر على البعض دون البعض الآخر أنظر ص 81 هامش 126

(120) سيذكر إبن الصغير في آخر الكتاب خطبة التحكيم . وسميت كذلك لأنها تحتوي على عبارة « لا حكم إلا لله » .

(121) وردت في الأصل « ما بالك » .

منه محمد بن عبد الله القضاء حتى ألقى الخاتم والقمطر وشافه ابا اليقظان بما شافه به ؟ فقال نعم ، آجرك الله يا ابني ، انما نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الاخيرة وكان كثيرا ما يؤثر بي لحوائجه على غيري ، فبينما نحن كذلك اذ دق علينا الباب دقا عنيفا ، فقال لي يا سليمان قم فإني خشيت أن يكون حادث من قبل السلطان ، قال ففتحت الباب فإذا أنا بجارية منبهرة ومعها صقلبي معه سراج ، قال فقلت ما بالك ايتها المرأة ؟ فقالت القاضي أريد ، فرجعت إليه وأعلمته ، فقال أدخلها ، فأدخلتها ، فلما مثلت بين يديه ، قال لها ما بالك أيتها المرأة وما جاء بك هذه الساعة ؟ فقالت نعم دخلت علي الساعة خدام من قبل زكرياء إبن الأمير وأخذوا إبنتي من بين يدي ، فقلت لإبني قم فاتبعهم ، فقال أخاف إن أردت ذلك أن يقتلوني وإن لم يقتلوني خفت ان يدسوا علي عاملا من عمالهم أو لصا من لصوصهم فيقتلوني ، قال فسقط القاضي كالمغشي عليه . ثم أفاق ، فقال لي يا سليمان قم ؟ ثم قام ، فقال لي خذ سراجك ولا يشعر بك أحد وتقلد سيفا واعطني عصاي ، ففعلت ، ثم قال أخرجي ايتها المرأة فخرجنا ، ثم قال إلى أين تظنين يقصد بابنتك ؟ فقالت الى دار الزكاة ، قال فسار وسرت معه والجارية معنا حتى أتينا قرب الدار ، فقال لي يا سليمان غيب السراج لئلا يشعر بنا أحد ، قال فسترته ، فقال لي دق الباب دقا لطيفا ، فاذا فتح الباب فأظهر السراج ، فلما رأى صاحب الدار وأهل الدار القاضي إرتاعوا ارتياعا

شديدا ، وقالوا فما بال القاضي ، أعزه الله ، وما جاء به ؟ فقال لي يا سليمان اصعد الى اعلى الدار واحذر ان ينزل احد من جوانب الدار ، ففعلت ، قال ثم اقبل يتخلل بيوت الدار بيتا بيتا وموضعا موضعا فلم ير شيئا ، ثم صعد أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئا ، قال ، ثم عطف على صاحب الدار . فقال له ، هل رأيت زكرياء إبن الأمير او كان معك اليوم ؟ فقال نعم ، كان اليوم عندى فلما كان الليل أتى بفرس فركبه ، قال هل تعرف له موضعا ؟ قال لا والله أصلح الله القاضي ، فسقط في يده ثم لم يصبر[122] الا ان وصّلها الى دارها ، ثم انصرفنا الى دارنا ، فما نام تلك الليلة حتى طلع الفجر . فغدا بخاتمه وقمطره وألقاه الى صاحبه ، وكان ابو اليقظان عاش من السنين مائة ونحوها[123] وكان عمره في إمارته نحو من أربعين عاما[124] ، وقد لحقت أنا بعض أيامه وامارته وحضرت مجلسه ، وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي ، ورأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من ادم فجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس ، وكان

---

(122) وردت في الأصل « يصب »

(123) يذكر أبو زكرياء والدرجيني أن أبا اليقظان عاش حتى كبرت سنّه ورقّ عظمه : أنظر : سير . ص 98 . طبقات . ج 1 ، ص 84 .

(124) تتفق المصادر الإباضية مع ابن الصغير على أن الإمام أبا اليقظان مكث في إمارته أربعين عاما . ويبدو أن التاريخ الذي وضعه جودت عبد الكريم لإمامة أبي اليقظان صحيح وهو (241 هـ . 281 هـ) وانظر رأيا أخر في بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ص 132 وما بعدها . أبو زكرياء : سير . ص 98 الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 83 . جودت : العلاقات الخارجية . ص 66 هامش 1 وما بعدها .

مربع القامة أبيض الرأس واللحية . وكان اذا جلس الناس وامرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه الا أن تكون ظلامة ترفع اليه ، وكان زاهدا ورعا ناسكا سكينا وكان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلا الباب البحري ، وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها ، وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بمكان ، ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له إبن الصغير ، شأنه في الفقه ولم يكن في ورع عيسى ، وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس ، وكان اخص الناس به رجل من العرب يعرف بمحمود بن بكر[125] ، وكان غاليا فيهم تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[126] ، وكان مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفهم[127] ، وكان رجل يقال له عبد الله بن اللمطي ، أخبرني أحمد بن

(125) لا تذكر كتب السير والطبقات الإباضية هؤلاء الفقهاء : عيسى بن فرناس وابن الصغير ومحمود بن بكر ، اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلا عن ابن الصغير ، أنظر سيره ص 222 .

(126) ذكر إبن الصغير في بداية كتابه أن الإباضية يتبرّأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) دون استثناء ، وهنا يبدو إبن الصغير لا يتهم الإباضية كلها بالبراءة من علي (ض) وإلا فلماذا ذكر محمود بن بكر وَحْدَه وقال عنه بأنه تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي . ونَسَبَهُ إلى الغلوّ فقال « وكان غالياً فيهم » وهذا يعني أن الإباضية الآخرين ليسوا من الغلاة .

(127) لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر على مخالفي الإباضية ، ولعلّها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستميين في المعصومة من قبل أبي عبد الله الشيعي داعية العبيديين لما دخل تيهرت غازيا سنة 296 هـ . أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 310 وما بعدها ، 312-316 .

بتير[128] عنه . قال لي اجتمعت المعتزلة[129] والاباضية بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة[130] وكان كثير من هوارة ممن حضر[131] يتسمى بعبد الله بكسر الدال وكذا إسم الرجل ولما اجتمع القوم وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله بكسر الدال ، فاجابه رجل من القوم ، فقال لست أريدك . ثم نادى ثانيا فأجابه رجل ثان فقال لست أريدك ، قال عبد الله وقد علمت أنه اياى يريد فكرهت أن أجيبه خوفا من سؤاله ، فقال عبد الله بن اللمطي أريد ، فقلت لبيك فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ، فقلت لا ، فقال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه فقلت إذا شئت . فقال خرجت منها يا ابن اللمطي ، وكان

---

(128) لعله إبن لأحد المقربين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيراً أنظر الصفحة التالية 37 ومن هنا تأتي أهمية أخبار إبن الصغير .

(129) المعتزلة مذهب من المذاهب الدينية والفلسفية في الإسلام ، وقيل ان سبب تسمية المعتزلة بهذا الإسم ، إنما كان لكلمة أطلقها الحسن البصري على تلميذه واصل بن عطاء لما قال بالمنزلة بين المنزلتين ، إذ رد عليه الحسن البصري قائلا « إعتزلنا واصل » وتتلخص معتقدات المعتزلة في (أ) المنزلة بين المنزلتين ، (ب) نفي الصفات (جـ) القدرة (د) خلق القرءان . وغيرها كثير . ويذكر البكري أن مجمع الواصلية (وهم المعتزلة من أتباع واصل بن عطاء) كان قريبا من تيهرت . وكان عددهم نحو ثلاثين الفا في بيوت كبيوت الأعراب . انظر الشهرستاني : الملل والنحل . ج 1 ، ص 60 . عبد الستار عز الدين الراوي : ثورة العقل (فكر معتزلة بغداد) ، ص 49 وما بعدها . البكري : المغرب ، ص 67 .

(130) أنظر رواية المناظرات التي جرت بين الإباضية والمعتزلة في أبي زكرياء : سير ، ص 67 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 57 ، الشماخي : سير ،ص 154، 222 . وراجع بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، فصل المناظرات وعلم الكلام ص 357 وما بعدها .

(131) وردت في الأصل « حض » وهي تصحيف

منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج [132] كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع . اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه . وقد رأيت أن هذا الرجل وجلست اليه فما رأيت في سود الرؤوس رجلا أخشع منه . وكان قليل الدخول على أبي اليقظان ولم يكن يجمعه واياه سوى المسجد الجامع . فحدثني أحمد بن بشير قال ضرب ابو اليقظان سرادقه لحدث أراده وبرز بنفسه الى سرادقه ، قال وعلم الناس بخروجه فخرج اليه الفقهاء والقراء وضربوا ابنيتهم حول سرادقه خلا ابا عبيدة . قال فبينما الناس ذات يوم جلوس اذ اقبل ابو عبيدة راكبا على دابة . فقال الناس هذا ابو عبيدة قد اقبل متفقدا الامير مسلما عليه ، قال فاعلموا بقدومه ابا اليقظان فلما دخل عليه ادناه الى نفسه فقال ما جاء بأبي عبيدة الينا متفقدا ام مسلّماً ام ماذا ؟ فقال . أصلح الله الامير . ماجئت مسلما ولا متفقدا غير ان جارة لي خرج ولدها البارحة في طلب معاش له ولها . فأخذه المحروق صاحب حرسك وحبسه فأتتني الغداة باكية شاكية تسألني أن أسألك في إطلاق ولدها . فأمر بان يطلق كل من حبس تلك الليلة إجلالا لأبي عبيدة . ثم سلم وانصرف . فعجب الناس من صدقه وتركه التصنع وإظهاره

---

(132) أبو عبيدة الأعرج من علماء الإباضية بتيهرت إلا أن كتب السير والطبقات الإباضية لا تذكر عنه شيئاً . وكثيراً ما أهملت تلك الكتب تراجم علمائها في تيهرت ولعل ذلك راجع إلى اندثار وفقدان مثل تلك التراجم بسبب الفتن والحرق الذي ألحق بعاصمة الرستميين . ونشير إلى أن الشماخي قد ذكر أبا عبيدة الأعرج وبعض العلماء الآخرين نقلا عن ابن الصغير ، سير الشماخي ، ص 224 .

على لسانه ما اسر في قلبه ، وكان أبو عبيدة هذا عالما بالفقهة والكلام والوثائق والنحو واللغة . وكان مع ديانته حسن الادب والمروءة ، وقد اتيته يوما أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة[133] على أبي عبيدة[134] ، فلما افتتحت قراءته وقلت « لعل ناظرا في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستفر من ترجمته ويربا بأبي عبيدة عن الزلة » فلم أهمزه ولم أمده ، فقال لي يربأ بأبي عبيدة بهمزة الالف وضمه وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة ، فلما قرأت من الكتاب مثل ورقة أو أزيد ، أتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها . فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم ، فلما كان اليوم الثاني اتيته فلما قرأت مثل ما قرأت بالامس اتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها ، ففعل مثل ما فعل بالأمس ، فقمت معه وقلت له ، أصلحك الله . ان لي في الرهادنة دكانا أبيع فيه وأشتري وأتركه وآتي اليك فيأتيك الناس فتشتغل عنى لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي ، فسكت . فلما كان بالغداة أتيته فلما قرأت بعض جزءى[135] ، أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا ، فقال إن

---

(133) إبن قتيبة وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي . بها مولده ويقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور . وتوفي إبن قتيبة سنة 270 هـ . له كتاب إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث . أنظر النديم : الفهرست ، ص 58-59 ، 85-86 . 96 .

(134) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش لا تيم الرباب له كتاب غريب الحديث . توفي أبو عبيدة سنة 210 هـ وقيل 211 هـ . أنظر النديم : الفهرست ، ص 59، 85-86-96 .

(135) لعل الصواب : بعض جزئه .

هـذا اليـوم لهـذا الفتى فـان أثركم على نفسـه واذن لي سرت معكم ، فلما رأيت ذلك ، قلت له يا سيدي لا كُلُّ هَذَا فسر اذا شئت أو أقم ، وإنما ذكرت هـذا لأدل على مرؤتـه وحسن أدبه ، وكان المغرب كله مفتونا بهـذا الرجل حتى ان من كان من الاباضيـة بسجلماسـة[136] يبعثون اليـه بزكاتهم يصرفهـا حيث شاء ، وكانت نفوسة الجبل مفتونة بـأبي اليقظـان حتى أنهم أقامته[137] في دينها وتحليلهـا وتحريمهـا مثل مـا أقـامت النصـــارى عيسى ابن مريم[138] ، وكان أكثرهم لا يحــج الا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بـابنهـا أو ابنتهـا يـأخـذ لهـا الاذن منه ، وكان اذا ضرب سرذاقه وأتته وفودهم لا ينـامون الليل حول فسطاطـه شـأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فـاذا صلـوا الفجر معـه خرجـوا بـانفسهم الى الأرض فناموا[139] . وان ابا اليقظان لما استقام له ملكه أتته وفود نفوسـة من الجبل المعروف بجبـل نفـوسة ليقـدم عليهم أميرا من انفسهم فـانزلهم في دار الضيـافـة ، فقـال اكتبوا الي

أبـو اليقظـان يُعيّن واليا على نفـوسـة وقصـة عبدالعزيـز بن الأوز

---

(136) سجلماسة : هي عاصمة دولة بني مدرار الصفرية بُنِيَت سنة أربعين ومائة . أنظر البكري : المغرب ، ص 148 وما بعدها . الحموى ياقوت : معجم البلدان ج 3 ، ص 192 .

(137) الصحيح أن يقال « حتى أنها أقامته » أي قبيلة نفوسة .

(138) لا نعرف بالضبط وجه الشبه بين الإمام أبي اليقظان ورعيته من أهل جبل نفوسة من جهة وبين النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه من النصارى من جهة ثانية فهذا التشبيه غامض نوعاً ما ولعل إبن الصغير يريد أن يعبر عن مدى طاعة نفوسة لإمامها أبي اليقظان لا غير .

(139) يذكر كل من أبي زكرياء والدرجيني والشماخي أن أهل جبل نفوسة يتخذون مجلس أو باب دار أبي اليقظان كالمسجد يسهرون حوله ، طائفة يصلون وطائفة يقرأون القرءان . وطائفة يتـــذاكرون في فنـون العلم ، أنظر سير ، ص 98 ، طبقـــات ، ج 1 ، ص 82 . سير الشماخي ، ص 222 .

أسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب ان يكتب السجل ويبقي بياضا لموضع المقدم فلما رفع المقدم اسماءهم اليه كتب بخط يده اسم المقدم وطواه وطبعه ولم يعلم احد من الناس من قدم ، ثم جمع القوم وقال لهم هاكم السجل ولا تفتحوه الا بجبل نفوسة اذا بلغتم منازلكم ، فاخذ القوم السجل وقد اغتموا اذ لم يعلموا من المقدم عليهم ، ثم دخلوا على حمود[140] بن بكر وكان من الخاصة بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم ما انا بأعلم منكم بما فيه ، ثم دخلوا على عيسى بن فرناس فاجابهم بمثل ما أجابهم حمود ، ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من الاباضية فيسألونهم فيخبرونهم بان لا علم لهم . فلم يزالوا كذلك الى ان مروا بعبد العزيز بن الاوز ، وكان له فقه بارع وله رحلةٌ نحو المشرق . ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل ينزهون مجالسهم عن حضوره ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم ، فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالكم وما جاء بكم ؟ فقالوا فرحنا بشيء واغتممنا منه ، قال وما ذلك ؟ قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتممنا اذ لم نعلم من قدم علينا ، قال أو لم تعلموا من قدم عليكم ؟ قالوا لا ، قال قدم عليكم أفلح بن العباس[141] .

---

(140) ذكره ابن الصغير في الصفحة السابقة باسم محمود بن بكر .

(141) افلح بن العباس : **هو الوالي على جبل نفوسة من قِبَل الإمام الرستمي بتاهرت ، وكان قبله الوالي أبو منصور إلياس الذي تولى ولاية نفوسة للإمام أفلح ثم لأبي اليقظان بن أفلح ثم لأبي حاتم بن أبي اليقظان . وفي عهد هذا الأخير توفي أبو منصور إلياس وتولى من بعده الولاية أفلح بن العباس وهذا حسبما تشير إليه المصادر الإباضية ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 99-104 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84-87 . الشماخي : سير ، ص 262 .**



قالوا ومن أعلمك ذلك ؟ قال ابو اليقظان ، قال فخرجوا من عنده فأتوا حمود بن بكر وعيسى بن فرناس فقالوا لهما مكانكما من الامام مكانكما ومكاننا منكم مكاننا فكتمتما المقدم حتى اخبرنا به من هو دونكما ، فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم ، فمن اخبركم ؟ قالوا عبد العزيز بن الاوز ، قالوا ومن أخبر عبد العزيز ؟ قالوا ابو اليقظان قال فخرجا يجران ارديتهما حتى دخلا على ابي اليقظان ، فقالا انت اعلمت عبد العزيز ان المقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال لا ، قالا فقد ذكر نفوسة[142] انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا ، قال أو قال ذلك المجنون ؟ قالا نعم ، فنادى يا بشير خذ معك اعوانا كفيا وجيء بعبد العزيز شر مجيء ، ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا حتى يأتي المجنون ، قالوا فما شعرنا ان جيء به ، فقال فمن اعلمك يا مجنون اني قدمت على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال انت اعلمتني ، قال في اليقظة أم في النوم ؟ قال لا ولكن في اليقظة ، قال وكيف ذلك ؟ قال رأيتك اذا يسمى رجل منهم انقبض ما بين عينيك واذا سمي لك أفلح بن العباس انبسط ما بين عينيك ، فعلمت انك إياه تريد ، فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا . فلم تزل ايام أبي اليقظان

جانب من سياسة أبي اليقظان المالية

عادلة ، ولا ينقم عليه أحد شيئا مما ولي من أفعاله ، ما خلا أولاده فإنهم ربما خرجوا عن الواجب من أفعالهم ، ومما يذكر عنه من ورعه وتقشفه ، أن رجلا يكنى بأبي سابق

(142) المقصود به « ذكر أهل نفوسة » .

وكان خادما لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه ، قال لي احمد بن بشير : قال لي ابو سابق ، خرج ابو اليقظان يوما الى منزله الذي كان اختصه[143] بتسلونت[144] يتفقد في سايعته[145] وعبيده وابطأ في انصرافه الى ان دخل الليل ، قال ابو سابق فحططت عن الفرس وربطته على مذرته ، وخرجت لآتي له بعلفه من عند حريف[146] لي فألفيته قد اغلق الباب فملت الى بيت المال ففتحته واخذت منه علف الفرس ، وعلقت عليه ، ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني مرة بعد أخرى فلما رأيته صعد اليه خادم فاخبره بمجيئي ، فقال أصعده الي ، وكان يستريح الي ويسألني عن اخبار الناس ، فقال وما حبسك وما ابطأ بك ؟ فاعلمته خبر الحريف غيبته ومجيئي لبيت المال واخذي العلف منه وتعالفي اياه الفرس ، فقال هه يا ابا سابق والله لا قام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذته منه ، قال فمضيت في ليلتي تلك حتى أتيت حريفي. واخرجته من داره واخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانزعت المخلة عن الفرس فكلت ما بقى واتممت ما اخرجت من بيت المال ورددته فيه

---

(143) ربما الصحيح اختصه .

(144) انظر ص 74 هامش 112 .

(145) سايعته . لا نجد هذه الكلمة في المعاجم العربية . ولعلها من اصل كلمة استسعى وسعى فيقال « سعى المكاتب في عتق رقبته سعاية » واستسعى العبدَ أي كلفه سيده من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا اعتق بعضه ليعتق به ما تبقى . والسعاية ما كُلف من ذلك . إبن منظور : لسان . م 2 . ص 152 .

(146) أي صاحب حرفة . والمقصود هنا شخص تعوّد أن يشتري منه العلف .

وعلقت ما بقي على الفرس ، ومضيت اليه فاصبته جالسا ينتظرني ، فقال ما وراءك يا ابا سابق ؟ فاعلمته بما صنعت ، فقال لي احسنت اما الآن فأجلس . ولما مات ابو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته سبعة عشر دينارا ، وكانت لأبي اليقظان في امارته وقائع صارت تاريخا لموالد الناس لشهرتها الى ان قال ثم مات ابو اليقظان بسنة احدى وثمانين ومائتين [147] وخلف من الولد الذكور عددا منهم يقظان الذي كني باسمه وكان ابنه يقظان هذا خرج الى الحج في حياة ابيه ، ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم وابو خالد وعبد الوهاب ووهب وغيرهم ممن له ذكر . وانه لما مات ابو اليقظان قامت العوام واهل الحرف [148] ومن لف لفهم [149] ، فقدموا ابنه ابا حاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم ، وكان أبو حاتم هذا فتى شابا وكان يجمع الفتيان الى نفسه فيطعم ويكسي ، وكانت له أم تسمى غزالة وكانت مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه ، فلما كان في بعض الاعياد وابو اليقظان حي في قصره لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة [150] ونادت بطاعته ، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك باغيا .

وفاة ابي اليقظان

---

(147) هذا هو التاريخ الوحيد الذي ذكره إبن الصغير في كتابه .

(148) وردت في الأصل « أهل الحروف » والصحيح ما أثبتناه في المتن ، وهو أيضا ما ترجمه موتيلانسكى أنظر Actes du 14e congrès p.114

(149) وردت في الأصل « ومن لف لهم » .

(150) درقة : الدَّرَقُ ضرب من التِّرَسة (جمع تِرس آلة السلاح المعروفة) الواحدة درقة تتخذ من الجلود أو هي الحَجَفة وهي ترسٌ من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، إبن منظور : لسان ، م 1 ، ص 971 ،

ولاية أبي حاتم وايامه [151]

وهو يوسف بن محمد ، وقال مات ابو اليقظان وابناه جميعا غائبان ، يقظان بالموسم وابو حاتم قد كان اخرجه ابوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا [152] قوافل قد اقبلت من المشرق ، وفيها اموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة ، فبينما ابو حاتم في القوافل قد خرج اليها اذ وافته خاتم رسل بموت ابيه وعقد الامارة له ، وذلك ان اباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم وابو (حاتم) على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر ، فلما وصل الى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوا ، فما وصل المسجد الجامع الا وقت الظهر ، فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الايدي والاعناق ، حتى وصلوه الى داره ، ثم ارسلوا الى القبائل فبايعته ، فلما كمل امره وتمت بيعته

---

(151) أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281 هـ - 294 هـ) هو الإمام الرستمي السادس. أنظر مزيداً من المعلومات عنه في المصادر الإباضية . أبو زكرياء : سير ، ص 99 وما بعدها الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84وما بعدها الشماخي : سير ، ص 262 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 134 جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 68 .

(152) وردت في الأصل « ليجوروا » وهو خطأ والصحيح يجيروا أي يراقبوا ويؤمنوا وصول القافلة إلى تاهرت .

خلت به عشيرته واخوته واعمامه وبنو أعمامه ومواليه فاحبوا ان يجعلوا له حجابا وهيبة ، وأبت العوام من ذلك وارادت الدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل إمارته . وكانت مشايخ البلد من غير الاباضية قد استولوا عليه ، منهم رجل يعرف بأبي مسعود وكان كوفيا فقيها بمذاهب الكوفيين[153] ، ومنهم شيخ يعرف بأبي دنون ، وكان على مثل صاحبه من الفقه الكوفي ، ومنهم رجل يعرف بعلوان ابن علوان لم يكن من أهل الفقه ولكن كانت له رياسة في البلد ومحبة عند العوام ، وكانوا[154] هؤلاء قد طمعوا ان يبيتوا خبر الاباضية ويطفوهم ، وكان لأبي حاتم رجلان من خاصته من أهل المدينة من أهل الحرب والنجدة ، وكانا هما اللذان وليا العقد له ، وكان يعلم منهما انهما جريئان . وذلك أنه انصرف يوما من عند أبيه وقد أخذ[155] في شيء عليه ، فقالا له ما بالك ؟ فقال نازعني أبي كذا وحل علي أخي بكذا ، فقالا له لا عليك اثبت كما انت وخل بيننا وبين هذا الخوخاء[156] نحن ندخل اليه فنقتله ويصير الأمر اليك ، فهاله ما سمع منهما فاستنكر ذلك وكان يقال لأحدهما محمد بن رباح وللآخر محمد بن

فتنة محمد بن رباح ومحمد بن حماد

(153) لعل أبرز مذاهب أهل الكوفة في هذه الفترة المذهب الحنفي حيث أن الكوفة هي موطن أبي حنيفة النعمان بن ثابت (80-150 هـ) إمام المذهب الحنفي . وكذلك نجد الشيعة تستوطن هذه المدينة حيث مشهد الإمام علي (ض) .

(154) الأصل أن يقال « وكان هؤلاء » .

(155) ربما الصحيح « وقد آخذه » .

(156) الخوخاء أو الخوخاة وكلاهما يجوز وهو الرجل الأحمق . إبن منظور : لسان ،م 1 ، ص 917

حماد ، فاتصل بأبي حاتم مع منافرته لمشايخ اهل المدينة انهما قد قالا لمشايخ أهل المدينة مثل ما قالا له في أبيه ، فلم يشك ابو حاتم عند ما بلغه انهما قد قالا ما قالا . فجمع جماعة من اهل بيته وجماعة من اهل المدينة ، فقال لهم أخرجوا عني محمد بن رباح ومحمد بن حماد فأمر بهما فأخرجا .
وكان لمحمد بن حماد على بعض اميال من المدينة منزل يقال له المثلث قد جمع الاشجار والانهر[157] والمزارع والنخل والقصور فخرجا جميعا الى ذلك المنزل في أنعم عيش وأرغده ، ثم أبه[158] الشيطان لهما الى ان جاء لهما واقبل وادبر فقال مثلكما ينفى وانتما اللذان عقدتما الامارة ؟ فلم يزالا يرسلان رسولا بعد رسول الى من في المدينة من اخوانهما ويقولان لهم اترضون ان يكون مثلنا ينفى من البلد بلا جناية كانت منا . فيجتمع اخوانهم ويقولون والله لقد صدقا ، ثم اتفق من بالمدينة من اخوانهم على ان يرسلوا اليهما فيدخلوهما على رضي الراضي وسخط الساخط ، فما شعر ابو حاتم الا والتكبير عليهما في المدينة ، ففزع لذلك وارتاع وعلم انها ليست بدار قرار ، فاجتمع اليه قومه واهل بيته فقالوا له قد اعلمناك هذا أولاً ، ولكن أقم بين ظهران القوم ونخرج نحن الى حصننا الذي به مواشينا وعبيدنا وهو حصن يعرف بناليت في طرف لواتة ، فاذا صرنا اليه

---

(157) الأصح الأنهار كما قلنا سابقاً .

(158) أبه ، أبها وأبهاً فطن وقيل أبه للشيء أبَهاً : نسيه ثم تفطّن له . إبن منظور : لسان ، م 1 ، ص 10 .

واجتمعنا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرنا الخارجين الينا ، ففعلوا ذلك فلما رأت بقية العجم الساكنين بمدينة تاهرت ما فعلت الرستمية خرجت الى حصنها وفعلت نفوسة مثل ذلك . ثم اقام ابو حاتم بعد ذلك أياما ، ثم خرج وخرج معه من وجوه اهل البلد من السمحيين[159] وغيرهم نحو مائة رجل ، وكان الخارجون معه حماة البلد منهم رجل يعرف ببكر بن يبيدى ، ومن السمحيين[160] رجل يعرف ببكر بن الواحد . وكان هذان الرجلان فارسي المغرب ، وبقيت العامة ومشايخ البلد في جمع عظيم وعلموا أن الحرب قد دهمتهم فاسرعوا في بنيان حصنهم ، ثم ان ابا حاتم لما خرج اجتمعت لواتة كلها اليه . فأعطى الأموال وحمل على الخيل . فاجتمعت قبائل الصحراء اليه . خلا الحصن المعروف بتالغمت[161] واهل الصفرية[162] فإنهم مالوا الى المدينة ، ثم جمع ابو حاتم جموعه وزحف الى المدينة من ثلاثة مواضع : من القبلة والمشرق والمغرب ، فتولى بنفسه القبلة مع لواتة والرستمية ومن شايعهم . وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن

---

(159) (160) وردت المسيحيين وهو خطأ في أسلفنا والصحيح هو السمحيين . وهل يمكن أو يجوز أن يسمى رجل ببكر بن الواحد ويكون من المسيحيين . ولعل التحريف من موتيلانسكي لأنه لا يعرف السمحيين .

(161) تالغمت هي قرية المعروفة اليوم بتيلغمت في صحراء الجزائر على الطريق الرابطة بين مدينة الأغواط ومدينة غرداية وتبعد عن هذه الأخيرة بنحو 90كيلومتراً . وأنظر الباروني : الازهار ، ج 2 . ص 269-270 .

(162) الصفرية : وهم أتباع عبد الله بن الصفار وإليه النسبة . قيل سمّوا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة وهذا ضعيف . أنظر المبرّد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ص 105 . والصفرية كما هو معروف من مذاهب الخوارج .

تابعها ، وتولى المغرب طوائل [163] من الناس مع نفوسة ؛ وكان قتال شديد من الوجوه الثلاثة ، وكانت الدائرة من الوجوه الثلاثة على اهل المدينة فقتل من ناحية القبلة رجل من أهل دمر ، وقتل من ناحية المشرق رجل يعرف با (...) [164] قتلته العجم ، ولم يصب من ناحية المغرب احد . وكانت مادة هذا المقتول رجل سيء الحال فلما قتل ولده ، عدى على رجل يقال له جان من العجم من سكان المدينة فقتله غيلة من غير ان يشعر به الناس ، فلما علموا [165] الناس بالاذاة [166] بادروا اليه ليقتلوه به فولى هاربا فلم يقدر عليه ولم يعرف له مكان ، فاجتمع الناس فقالوا نحن انما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، واذا كان يقتل بين ظهراننا رجل بغير حق فامضوا بنا الى ابي حاتم لندخله يقتل هذا واشياعه ويحكم فين بقي كيف يشاء ، وأرسلوا بذلك الى ابي حاتم فقال لا أفعل إلا أن تدفعوا الى مشايخكم ومن اثار هذه الفتنة منكم ، فندم عند ذلك اهل المدينة وانكسروا عما كانوا عليه ، وتجدد الحرب الى ان قال : واجتمع وجوه اهل المدينة فقالوا ان القبائل رمتنا عن قوس واحد ، والاباضية قد

---

(163) طوائل : ربما يقصد بها الكثرة من الناس ولكننا لا نجد هذا المعنى في قواميس العربية لأن الطائلة والطوائل تعني العداوة . أنظر إبن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 630 .

(164) بياض في الأصل .

(165) الأصح أن يقال « فلمّا علمَ الناسُ » .

(166) الأذاة : الأذى يقال آذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية . إبن منظور : لسان ، م 1 ، ص 41 .

كلبت علينـا وهم لا يكفـون عن حربنـا مـا لم يكن عنـدنـا رئيس من الرستميين ينحل مذاهب الاباضية ، وقـد علمتم ان يعقوب بن أفلح مصارم لأبن أخيه منذ زمان ، وان ابا حاتم منـذ ولي ترحل يعقوب ونزل بزواغـة فلم يـدخـل للرستميـة جمعا ولا اعـان ابن أخيـه برأي ولا غير ذلـك ، فـأرسلوا إلى يعقوب بن أفلح [167] .

---

(167) لا تذكر المصادر الإباضيـة شيئـاً عن منـافسـة يعقوب بن أفلح لإبن أخيـه أبي حـاتم يوسف بن أبي اليقظان بن أفلح ولكنها تشير إشارة عابرة إلى أنّ أبـا حـاتم إطّردَت لـه الأمور ولم تضف أيّ شيء آخر ، أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 99 . الـدرجيني : طبقـات ، ج 1 ، ص 84 . الشماخي : سير ، ص 262 .

ولاية يعقوب بن أفلح [168]

ولما أجمع اهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح وأرسلوا اليه وادخلوه المدينة وعقدوا له الولاية انكسرت شوكة الاباضية ودخل عليه جماعة منهم ، ورجعت اليه جماعة من لواتة وبقيت الحرب متماسكة بين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم الا انها ضعفت وانكسرت نواكبها وجمهور الاباضية مع أبي حاتم . الى ان زحف وانودين [169] بن معه وزحف أبو حاتم ومن معه . فلما فعلا أمر يعقوب بن أفلح بأبواب المدينة فغلقت الا بابا واحدا وقف عليه يعقوب جمهور الناس ويميل بالحملة من معه اذا قرب العساكر منه ، فلم يزل الناس متواقفين الى ان حضر صلاة الظهر . فاذن المؤذنون في مصافهم ذلك وصلى الناس صلاتهم ووانودين ومن معه قائمون ينظرون الى الناس فيسقط في

---

(168) الاباضية لا يعتبرون يعقوب بن أفلح من أئمة الدولة الرستمية وكذلك اليقظان بن أبي اليقظان الذي ارتقى عرش الرستميين بعد مقتل الإمام أبي حاتم يوسف وإنما يعتبرون الدولة الرستمية وإمامتها انقطعت بموت الإمام أبي حاتم يوسف سنة 294 هـ . أنظر الدرجيني : طبقات . ج 1 . ص 94 . الباروني : الأزهار . ج 2 . ص 272 وقد حكم يعقوب بن أفلح في تاهرت بعد خروج الإمام أبي حاتم منها أربع سنوات أي (281-284 هـ) . وأنظر علي يحيى معمر : الإباضية في الجزائر . ص 83 .

(169) لأول مرة يذكر إبن الصغير هذا الشخص ، ولا يذكر عنه أي شيء أخر ، لانجد له ذكراً في الكتب الإباضية ما عدا البارودي الذي يذكره نقلا عن إبن الصغير ويسميه « وانودي » . البارودي : الأزهار . ج 2 . ص 272 .

ايديهم ، وتحولت نياتهم على المحاربة وندموا على قدومهم . غير ان ابا حاتم ومن معه من العجم استداروا من جهة المشرق وحلوا مصاف رجاء ان يصيبوا غرة[170] ففتح من كان بناحية الباب الشرقي الباب وخرجوا اليه حملة واحدة فولوا منهزمين بين ايديهم ، فلما رأى وانودين ما رأى انصرف بعساكره وضعفت الحرب بعد ذلك . وتطامع الناس في العافية . وكان يعقوب بن أفلح بعيد الهمّة نزيه النفس لا جس بيده دينارا ولا درهما ، وكان اذا اتى وكيله بغلاته أمره ان يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها واذا اراد اخراج شيء منها دفعه بقضيب من يده . وكان اذا سافر ونزل بقوم لم يأكل لهم طعام . وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه في اناء جديد فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثا لا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا ، ولا يخرج لبراز ، وكان وضوءه طاهر (كذا) في الموضع الذي يكون فيه . شهد منه ذلك جماعة ممن صحب واستفاض ذلك عنه حتى صار كالعيان . وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه . يخرج عن طبع البشر[171] . حجرة سراويله في جنبه . وركوبه فرسه من بين يديه . وكان له فرس اشقر لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده ، به يضرب المثل الى اليوم[172] . فلما طالت

نزاهة يعقوب بن أفلح وورعه

(170) وردت في الأصل « عزة »

(171) وردت في الأصل « الشر » .

(172) نفس هذه المعلومات تقريبا عن الفرس الذي يملكه يعقوب بن أفلح والذي به هرب من قبضة العبيديين سنة 296 هـ إلى مدينة وارجلان . نجدها في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير . ص 124 الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 104 .

الحرب بينه وبين ابن أخيه ورقت . وتطامع النّاس العافية ، نزل أبو يعقوب المزاتي[173] بجميع مزاته حول البلد وكان رأس القوم وملكهم ، فمشت اليه القبائل وقالوا لو جعلت الهدنة بين هذين الفريقين الى مدة معلومة يأمر الناس اليها فقد قطعت السبل وفرغ من ايدي الناس الحرث والنسل[174] ، فسعى في ذلك واجتهد حتى اشتهى الفريقان . فقالوا ليعقوب قدم من يعقد لك الهدنة فقدم عبد الله بن المطي صاحب المسئلة[175] في أعلى الكنار ، (كذا) وقدم أبو حاتم منكود وابن ابي عياض اللواتيين[176] . وبرز الناس من كلا الفريقين وسلموا الامر لمتولي عقد الهدنة ، فعقدوا ان يرفعوا أيدى أبي حاتم ويد يعقوب عن النظر أربعة اشهر ، ويمشي الناس الى الناس ويدخل بعضهم على بعض وتأمن الساحات . فتم العقد على ذلك وتطامع الناس العافية ووجدوا حلاوتها . وكان أبو حاتم اذا لقي أحدا من وجوه أهل تاهرت وشبابهم استماله ، فان كان على القرب استمال به الى نفسه ، وان كان على البعد زوده وأعطاه ، فمالت قلوب الناس اليه . ومن[177] يشب في سفك الدماء واكل الاموال فانه بقي متصلا بيعقوب . وأبو

---

(173) أبو يعقوب المزاتي من أرباب الثروة وكذلك قبيلته مزاتة أنظر الباروني : الأزهار . ج ٢ ، ص ٢٣٢ . وفيه قال الإمام عبد الوهاب « إنما قام هذا الدين بأموال مزاتة وسيوف نفوسة » .

(174) وردت في الأصل « النّهل » وهي تصحيف نسل .

(175) ذكره إبن الصغير في المناظرة التي جرت بين الإباضية والمعتزلة أنظر صفحة 82 .

(176) لا تذكر المصادر الإباضية هذين الشخصين .

(177) وردت في الأصل « ممن » وهي لا تؤدي المعنى المطلوب والصحيح « ومن » .

يعقوب المزاتي دائما في اصلاح ما رأى فبينا الناس ذات يوم في عيد من اعيادهم . اذ اقبل رجلان من أخريات الناس على المدينة . ولم يكن في البلد اذ ذاك أوسع منهما جاها ولا أكثر عشيرة ولا أسمع قلبا ، يقال لأحدهما احمد والآخر محمد يعرفان ببني دبوس[178] ، وبين ايديهما قنفوهم[179] يقولون من أراد العافيةُ[180] فليصعد الى الكنيسة . وكانت دار هاذين الرجلين تعرف بالكنيسة . فبادر الناس ولم يختلف عنهما احد خلا يعقوب وشيعته وبعض مشايخ ممن يشب في عداوة أبي حاتم منهم شيخ يعرف بابن مسعود هو شيخ البلد ومقدمه فلما رأى إبن مسعود اجتماع الناس واطباقهم على هذين الرجلين صعد لهما وقال لهما وخلف ، الى أن قال : فلما دخل الليل ركب محمد واحمد فرسيهما وعلم بذلك من علم من الناس فتبعوهما وخرجا قاصدين نحو أبي حاتم واتصل الخبر بيعقوب وشيعته فركبوا خيولهم وخرجوا نحو زواغة فبينا أبو حاتم في منزله وقصره بنهر مينة اذ دخل عليه محمد واحمد وجماعة الناس فقالوا قم فاركب الساعة فخرج معهم وليس معه أحد من عشيرته ولا من رجاله فلم يصبح الا على باب المدينة وبادر اليه الناس أجمع .

---

(178) : لا تذكر المصادر الاباضية بني دبوس . ولكنني لا رأيت من عثمان ذكر عن عمانهم ومصحيه من اهل تيهرت ونصب اهتمامه على غيره ومصحي جبر نفوسة ومناطق القريبة منه فقط

(179) قنفوهم : لا تذكرها المعاجم والقواميس العربية . ولعل المقصود بها « جماعتهم » وهي من كلمة « قنواتهم » .

(180) وردت في الاصل « للعافية » .

دخول أبي حاتم تاهرت وسيرته بها

قال : ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشايخ البلد اباضيتها وغير اباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين فقالوا له ان اباك لما دخل كدخولك ولى محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وهو القاضي الذي قدمنا ذكره قبل هذا[181] ، ولمحمد ولد يسمى عبد الله وما هو دون أبيه في الورع والعلم وأنت عالم بورعه ودينه كما نحن عالمون به فقال اشرتم وأحسنتم ، وولاه القضاء ثم قال من ترون ان نولي بيت المال فقالوا عبد الرحمان بن صواب النفوسي ، فقال أصبتم وأحسنتم فقال من ترون أن نوليه الشرطة فقال قوم زكار وقد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة ، وقال قوم ابراهيم بن مسكين فان له صلاته في الحق[182] ، فولاهما جميعا وكان البلد قد فسدت وفسد اهليه في تلك الحروب ، واتخذوا المسكر سواقا ، والغلمان اخدانا ، فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطعا ذلك في أسرع من طرفة العين ، وحملا على الناس بالضرب والسجن والقيد ، وكسّرت الخوابي بكل دار عظم قدرها أو صغر ، وشردت الغلمان واخدانهم الى

---

(181) أنظر صفحة 77 . هو قاضي الإمام أبي اليقظان ، وأنظر الشماخي : سير ، ص 262 .

(182) يذكر الشماخي هؤلاء الأشخاص نقلا عن إبن الصغير ، أنظر سير ، ص 263 .

رؤوس الجبال وبطون الأودية ، وحمل الناس على الواضحة وأخاف[183] النطف وأمن البرى[184] ، وشردت السراق وقطاع الطريق ، وامنت السبل ومشى الناس بعضهم الى بعض . ولم ينقموا على ابي حاتم شيئا ثم نقموا بعد ذلك شيئا أخذه ناسا بالتهمة وضرب السوط على الظنة الا ان البلد وقضاته وأصحاب بيت أمواله وأصحاب شرطته ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم لم يطالب بعضهم ولا سعى بعضهم ببعض / وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا الا ان الفقهاء تناجت[185] المسائل فيا بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة ان تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها (كذا) ومن أتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه الطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك . قال لي يوماً ، ونحن في أعلى مسجد بالرهادنة ، رجل من وجوه الاباضية من هوارة يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع[186] ، من أين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين[187]

ملامح من الحياة الفكرية في عهده

---

(183) وردت في الأصل « خاف » .

(184) البري : أو البرية أو الورى شيء واحد والمقصود بها الخلق . أنظر إبن منظور : لبيان ، ج 1 ، ص 206 .

(185) وردت في الأصل « تنحجبت » .

(186) أبو الرّبيع سليمان الهوّاري . تذكر المصادر الإباضية العديد من الأشخاص بهذا الإسم والكنية ولكنهم نفوسيون على أكبر تقدير . وأقربهم إلى فترة إبن الصغير سليمان بن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الربيع . وكلاهما من الطبقة السابعة (300-350 هـ) أنظر الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 349 .

(187) لعله يقصد بالحجازيين أتباع الإمام مالك بن أنس (ض) أي المالكية .

والعراق[188] ان الرجل اذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة وادركت ان لا خيار لها في نفسها وانتم تقولون ان الرجل اذا زوج أمته وعتقت أن لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين الصغيرة لأن الآمة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم لسيدها فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لأبيها فلما ادركت صار الأمر اليها فلم منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد ؟ فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتللت به عليه فاعتلوا بعلله وغير علله وزادوا ونقصوا . وقد جمعت[189] ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به ومما يدخل لهم ، او ما ذكروه ، فقلت له ولغيره ممن كلمني ، إنَّا انما اجزنا نكاح الصغار لأن النبي ﷺ تزوج عائشة بنت ابي بكر بنت سبع وبنى بها وهي بنت تسع فقال لي دعني من هذا فاني لا اجامعك عليها ، ولكن كلّمني من القرءان أو من باب النظر ، مع أني لو بينت لك الخبر ما كان لك فيه حجة . لأنك تعلم ان الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لأمته ، وأحل له الموهبة وغير ذلك ، فان كان عندك حجة غير هذه فاذكرها والا فلا تقم لك حجة ؟ قلت له فان أوجدتك صحة عقدها من القرءان أترجع ؟ فقال لي من القرءان فقلت نعم فتكون علي

---

(188) لعله يقصد بالعراق أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان (ض) أي الأحناف أو مذاهب الشيعة .

(189) وردت في الأصل « اجتمت » وترجمها موتيلانسكى إلى خصت .

ثلاثا وفي كل ذلك أقول نعم ، فقال فاذكر لي ذلك فقلت له قال الله تبارك وتعالى : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الى واللائي لم يحضن »[190] فقال لي عجبا منك ، أنا أسألك عن عقد النكاح وفسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات[191] وعدة اللائي لم يحضن ؟ فقلت هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد ، قال وما غاب عني من ذلك ؟ فقلت أخبرني عن هذه العدد الموصفات من طلاق وقعن أم من غيره ؟ قال من طلاق ، قلت فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح ؟ قال لا ، قلت في المويسات فمنهن[192] اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحيض مثلهن ؟ قال نعم ، قلت واللائي لم يحضن من الصغر قال نعم قلت فاوجب الله عليهن عددا قال نعم ، قلت أمن طلاق أم من غير طلاق ؟ قال من طلاق ، قلت فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ فسكت ولم يرد جوابا . فأعلمت غيره بما دار بيني وبينه فقال لي مضى[193] في المطالبة لك ، فقلت فاذكر لي ما مضى[194] فيه ؟ قال قول الله « واللائي لم يحضن » المراد التي لم يخلق فيهن الحيض وهن الكبائر لا الصغار ،

---

(190) آية رقم ٤ سورة الطلاق وتمام الآية : « واللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً » .

(191) المويسات : لا ترد في القواميس العربية

(192) ربما الصحيح أن يقال « أَفَمِنْهُنَّ ... ؟ » .

(193) (194) وردت في الأصل « مضر » وهو تصحيف « مضى » على ما يبدو . وقد ذكر إبن منظور كلمة « مضر » ولكنها لا تؤدي المعنى المقصود في نص إبن الصغير . أنظر لسان العرب ، ج 3 ، ص 496

قلت هذا غلط في اللغة يلزمك فيها من الشناعة اكثر مما لزم صاحبك ، قال وكيف ذلك قلت « لم » لا توضع للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع « لم » . « لا » فيقال لا تحيض[195] فلانة اذا نفوا عنها المحيض أي ليست ممن تحيض ، واذا قيل لم تحض فلانة معناه انها لم تحض بعد وانها ستحيض في المستقبل . وربما حرَّف خطباءهم اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذي يريدونه ، حضرت لهم خطباء كثيرة أولهم ابن أبي دريس ، والثاني احمد التيه والثالث ابو العباس بن فتحون ، والرابع عثمان بن الصفار ، والخامس احمد بن منصور[196] . فسمعت احمد التيه يقرأ بعد فراغ الى ان بلغ « تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى »[197] فحرف المعنى عن موضعه اراد أن يقيم أصله وجعله[198] بابا من الحلول على العرش[199] . وكل

---

(195) في الأصل وردت هذه العبارة مرتبكة هكذا « قلت لم لا تضع إلا للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع لم لأن لايها فيقال لا تحيض فلانة » والتصحيح من مطبوعة تونس .

(196) يذكر الشماخي هؤلاء الخطباء نقلا عن إبن الصغير . أنظر سير الشماخي ، ص 263 .

(197) أية رقم 5 سورة طه .

(198) وردت في الأصل « وحفله » .

(199) ان إبن الصغير هنا أمام اتهام خطير للإباضية بتحريف اللفظ عن موضعه في القرءان الكريم . ويبدو لنا من المثال الذي قدمه إلينا إبن الصغير وهو « الرحمن على العرش استوى » وقال بأن الخطيب الإباضي حرّف المعنى عن موضعه ليجعله بابا من الحلول على العرش . إنما قال ذلك من باب سوء الفهم . فلعل الأمر هنا مجرّد اختلاف في القراءات لا غير . أساء إبن الصغير فهم ذلك . فتنتفي التهمة التي أطلقها متحرّجاً (ربّما) على الإباضية لا يمكن فهم معناها وحملها الا على هذا الوجه وأنها مجرد اختلاف في القراءات . إذ الإباضية . حسبما نعلم . لم تُتّهم بتحريف اللفظ أو الكلم عن مواضعه في يوم من الأيام . ولا أدلّ على ذلك من الخطبة التي سيذكرها إبن الصغير نفسه والتي قال فيها الخطيب الاباضي « الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمته .... الذي لم يزل بصفاته وأسمائه ، لا يشتمل عليه زمان . ولا يحيط به مكان . خلق الأماكن والأزمان .... تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين ... » . أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية . ص 327 وأنظر إبن الصغير في الخطبة التي بآخر كتابه .

من رأيت من خطبائهم على منابرهم فليس يستمعون الا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، خلا خطبة التحكيم فانهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الأولى قاموا الى الثانية وحكّموا ، وسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا الكلام . فلم يزالوا كذلك الى ان ولي الخطابة رجل منهم يقال له احمد بن منصور ، وسمعته يخطب بهذه الخطبة ثم يخطب بعدها بخطبة التحكيم ، فلقيته وعانيته[200] ، وقلت له ان خطبتك التي سمعت منك اليوم ليست من خطب أسلافك ، فقال لي حملني عليها عثمان بن احمد بن يحياج[201] ، وكان مقدما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم ، فخطبت بها لأنه استحسنها لي . والخطبة هي هذه « الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه ، وتغمدهم جميعا بحسن الائه[202] ، فوفق كل أمرء منهم في صبائه ، على طلب ما يحتاج اليه من غدائه ، وسخر له من يكلوه[203] الى وقت استغنائه ثم احتج على من بلغ منهم بالايت وحذر اليهم بانبائه واعذر اليهم بابلائه، (كذا) الذي لم يزل بصفاته واسمائه، لا يشتمل عليه زمان، ولا يحيط به مكان . خلق الاماكن والازمان ثم استوى الى السماء وهي

النص الكامل لخطبتي جمعة

---

(200) ربما الصحيح « عاتبته » .

(201) لا تذكر المصادر الإباضية عثمان بن احمد بن يحياج رغم انه من المقدمين ومن الذين لا يخالفون في رأيهم . وقد ذكرنا فيما سبق أسباب إهمال المصادر الإباضية لكثير من أعلامها النفوسيين خاصة .

(202) وردت في الأصل « بلائه » .

(203) كلأ . يكلأ : حفظ يحفظ : قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار » أي يحفظكم . أنظر : ابن منظور : لسان . ج 3 ، ص 281 .

دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقدرها احسن تقدير ، واخترعها من غير نظير ، لم يرفعها باعمدة تدرك بالمعاينة ، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة وزينها للناظرين ، وجعل فيها رجوما للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين ، تعالى ان تطلق في وصفه اراء المتكلفين أو أن تحكم في دينه اهواء المتقلدين ، بل جعل القرءان اماما للمتقين وهدى للمؤمنين ، وملجأ للمتنازعين ، وحكما بين المتخالفين ودعا أولياءه المؤمنين الى اتباع تنزيله ، وامرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع الى قول رسوله ﷺ ، بذلك نطق حكم كتابه اذ قال جل ثناؤه « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، الى قوله واحسن تأويلا »[204] وتعهد[205] نبيه ﷺ عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها اليه بأن بين لهم معنى ما أنزل عليه فقال « **ما انزلنا عليك الكتاب الا لِتُبَيِّنَ لهم الذي اختلفوا فيه** »[206] ولم يكل لهم تعالى الى القول في دينه بآرائهم ، ولا اذن لهم في مسامحة اهوائهم فتكون الاحكام مبتدعة ، والآراء مخترعة ، والاهواء متبعة[207] بل احصاها كل شيء عددا

---

(204) آية رقم 59 سورة النساء . وتمام الآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » .

(205) وردت في الأصل « وتعبد » .

(206) آية رقم 64 سورة النحل وتمام الآية « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

(207) وردت في الأصل « مبتدعة » .

وضرب لكل شيء امرا ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحي من حيي عن بينة . احمده حمدا يبلغ رضاه ويحسن الاه واستعينه على ما استحفظنا من ودائعه وحفظنا ما استودعنا من شرائعه وأومن به إيمان من اخلص له عبادته واستشعر طاعته . واتوكل عليه توكل من انقطع اليه ثقة به ورغبة فيما لديه واشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقرا له بالعظمة[208] والتمجيد خائفا من انجاز ما قدم اليه من الوعيد واشهد ان محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا وارتضاه لخلقه نبيا فاوجده على حفظ ما ضمنه قويا وباداء ما استودعه مليا وبالدعاء الى ربه حفيا ومتوفقا عن ورود المشكلات ومشمرا عند انجلاء[209] الشبهات لا يرعوى لمن عذله ولا يلوى على من خذله ولا يطيع غير من ارسله يصدع بالامر ويطفي نار الكفر ولا تأخذه في الله لومة لائم . ولم ينحرف عنه لرغم راغم ارسله على حين فترة من الرسل ودرس من السبل وتضامن من اهل الملل ، والناس فريقان عالم متكبر وجاهل مستظهر فالعالم الذي سبق له الخذلان ينزعه الشيطان ويجمح به الطغيان فيستنكف عن الدخول في دين الايمان ، والجاهل مستنكع في غيه متحير في امره منتظر ما يكون من غيره فلم يزالا يعكفان على الازلام ويعتصمان بالاصنام والرسول عليه السلام يرعى رعى السوام ويدعوهم الى دار

---

(208) وردت في الأصل « بالقظمة » والصحيح « بالعظمة » .

(209) وردت في الأصل « نجلاء » .

السلام فلم يزل ﷺ يعظهم بالايات ويقرعهم بالمعجزات حتى استقام من اراد الله توفيقه من سائر أهل الديانات فبلغ المحكمات واوضح المشكلات وزجر عن القول في الدين بالشهوات . فختم الله به النبيين واكمل به الدين واوجب به الحجة على العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين واخوانه من المرسلين واوليائه من المؤمنين » . ثم جلس ثم قام وقال

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ونبرا من الحول والقوة اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرءان امامنا . رضينا بحلاله حلالا وبحرامه حراما لا نبتغي عنه بدلا ولا عنه حولا ولا نشتري به ثمنا لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام وخلافا لأهل البدع . لا حكم الا لله خلعا ونبذا وفراقا لجميع عداء الله . لا حكم الا لله ولو كره الجبرون الحاكمون بغير ما انزل الله ونشهد ان من لم يحكم بما انزل الله فاولائك هم الكافرون والظالمون والفاسقون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . اللهم وارحم

الراشدين في سبيلك أهل الفضل في الاسلام اللهم وصل على الخليفتين المباركين بعد نبيك محمد أبي بكر وعمر[210] امامي الهدى بما عملا به من كتابك وما أثراه من سنة نبيك اللهم واصلح الامير يوسف بن محمد[211] ، اصلحه واصلح على يديه ووفقه للخير ...[212] وأعنه عليه وافتح له من عندك أعوانا وانصارا على طاعتك اللهم أعزز به الاسلام واهله واذلل به الكفر وأهله . انصره نصرا عزيزا ، وافتح له فتحا يسيرا وهب له من عندك سلطانا نصيرا . كفى بك وليا وكفى بك نصيرا . اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم . ثم قرأ « قل هو الله أحد »[213] ثم نزل .

---

(210) هنا نلاحظ توقف بعض الإباضية ، على الأقل ، عند خليفتي الحجرين عثمان بن [illegible]
[illegible]
ندية حديثة عن الخطبة ذكر أنها ليست من خطب أسلاف أحمد بن منصور الخطيب وإنما حمله عليه عثمان بن أحمد بن يحياج ربما يكون من المتطرفين .

(211) هو الإمام أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان محمد ، سادس الأئمة الرستميين .

(212) بياض في الأصل .

(213) هي سورة الإخلاص في القرءان الكريم ورقمها : 112 .

قائمة المصادر والمراجع والدوريات المعتمدة في التحقيق :

إبن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق نخبة من العلماء ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1387هـ/1967م .

إبن جميع أبو حفص عمر : مقدمة التوحيد ، شرح أبي العباس الشماخي، وأبي سليمان التلاتي ، ط 2 ، الجزائر ، 1392هـ/1973م .

إبن حزم علي الظاهري : (ت 456هـ) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، بلا تاريخ الطبع .

إبن عذاري المراكشي أبو عبد الله محمد : (ت في نهاية القرن السابع الهجري) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنصال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1948 .

إبن منظور محمد بن مكرم : (ت 711هـ) : لسان العرب المحيط : اعداد يوسف الخياط وآخر دار لسان العرب ، بيروت ، 1970م .

أبو زكرياء يحيي بن أبي بكر (ت 471هـ) : كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، إصدارات المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1399هـ/1979م .

أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر : (ت 732هـ) تقويم البلدان ، تصحيح رينودو وآخرين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1840م .

ـــ أطفيش امحمد بن يوسف (قطب الأئمة) (ت 1332هـ/1913م) : رسالة إن لم تعرف الاباضية يا عقبي يا جزائري ، تصحيح قاسم بن سعيد الشماخي العامري وآخر ، بلا مكان الطبع الحجري ، 1328هـ .

ـــ الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها . ط 2 . المكتبة الإسلامية ، عمان ، الدار السلفية الكويت ، 1404هـ/1983م .

ـــ الباروني سليمان بن عبد الله : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية . مطبعة الأزهار البارونية ، مصر (بلا تاريخ الطبع)

ـــ بحاز ابراهيم بكير : الدولة الرستمية 160هـ/296هـ دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية . أطروحة ماجستير في جامعة بغداد سنة 1983م وهي تحت الطبع .

ـــ البرادي أبو القاسم محمد بن ابراهيم (القرن الثامن الهجري) : الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات . طبعة حجرية ، قسنطينة ، 1302هـ .

ـــ البكري أبو عبيد الله (ت 487هـ) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . جزء من كتاب المسالك والممالك . مطبعة الحكومة ، الجزائر ، 1857 .

ـــ الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى : (ت 279هـ) : سنن الترمذي بشرح الاحوذي . طبعة حجرية دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، بلا تاريخ الطبع .

ـــ جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب . الجزائر ، 1984 .

ـ الجيطالي أبو طاهر إسماعيل بن موسى : (ت 750هـ) قواعد الإسلام ، ط 1 ، تحقيق بكلى عبد الرحمن ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، 1976م .

ـ دائرة المعارف الإسلامية ، إنتشارات جهان ـ تهران ، بوذر جمهري ، مادة : (بنو رستم) ، السودان .

ـ دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1383هـ/1963م .

ـ الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت حوالي 670هـ) : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1394هـ/1974م .

ـ ديوان أمرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط 3 ، دار المعارف مصر ، ضمن سلسلة ذخائر العرب رقم 24 ، 1389هـ/1969م .

ـ الراوي عبد الستار عز الدين : ثورة العقل ، دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982م .

ـ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون ، مطبعة جامعة فؤاد الأول . القاهرة . 1370هـ/1951م .

ـ الزركلي خير الدين : الأعلام ، ط 3 بالأوفست ، بيروت 1969/1389 .

ـ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) : تاريخ الخلفاء ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (بلا سنة الطبع) .

ـ الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 928هـ) . كتاب السير ، طبع حجري قسنطينة ، الجزائر 1301هـ .

ـ الشهرستاني أبو الفتح بن عبد الكريم : (ت 548هـ) : الملل والنحل ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، وهو بهامش كتاب الفصل في الملل لابن حزم ، بلا تاريخ الطبع .

ـ الطبري محمد بن جرير : (ت 310هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار المعارف ، مصر ، 1968م .

ـ عبد الوهاب بن منصور : السفارات الملكية والعلائق بين المشرق والمغرب ، جريدة البصائر ، الجزائر ، عدد : 179/178 ، 1371هـ/1952م .

ـ عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، جامعة الأردن ، عمان ، 1978م .

ـ عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقية في مرحلة الكتمان ، عمان ، الأردن ، 1982م .

ـ فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 ، بيروت 1979م .

ـ فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، عمان ، 1983م .

ـ المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ) : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ط 2 دار الحكمة دمشق ، 1972م .

ـ محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار العودة ، بيروت ، 1976م .

المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن : (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط 4 ، دار الأندلس ، بيروت 1401هـ/1981م .

معمر علي يحيى : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 4 ، الإباضية في الجزائر ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1399هـ/1979م .

مهدي هاشم طالب : الحركة الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة بغداد ، 1977م .

الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1350هـ/1931م .

النديم أبو الفرج محمد بن أسحاق : (ت 380هـ) كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد بلا مكان الطبع ، 1391هـ/1971م .

الوارجلاني أبو يعقوب يوسف (ت 570هـ) : الدليل لأهل العقول ، المطبعة البارونية الحجرية ، مصر ، 1306هـ .

وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، دار البعث ، قسنطينة ، عدد 45 ، 1397هـ/1977م .

الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام : (ت 6هـ) كتاب السير ، مخطوط بحوزة الشيخ بابانو بني يسجن غرداية ، الجزائر .

ياقوت الحموي : (ت 626هـ) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1397هـ/1977م .

ـ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : البلدان ، ط 3 ، النجف 1377هـ/1957م .

ـ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت 1379هـ/1960م .

49 / 900

المراجع الأجنبية

— Actes du 14e Congrés International des Orientalistes à Alger 1905. 3eme partie imp. Orientale Paris 1908 traduction de la Chronique d'Ibn Seghir par A.de C. Motylinsky.

— Les Cahiers de Tunisie, Revue des sciences humaines. faculté des lettres de Tunisie Tome XXIII N° 91-92 3e et 4e trimestre 1975 réimpression de la Chronique d'Ibn Seghir en Arabe.

— Lewicki Tadeusz : l'Etat Nord-Africain de Tahert et ses relations avec le Soudan Occidental à la fin du VIIIe au IXe S. Cahiers d'Etudes Africaines vol II, (8) Paris 1962.

— Provençal E. Levi : Histoire de l'Espagne Musulmane imp. Durand. Leiden. 1950.

ملحوظة :

بعد الانتهاء من اعداد الكتاب للطبع وصلنا من القاهرة كتاب اخبار الائمة لابن الصغير بتحقيق الدكتور حسن علي حسن لذلك لم نعتمده في مصادرنا .

فهرس الاعلام

ـ أ ـ

- ب -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

فهرس البلدان والأماكن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ج -

- ح -

- د -

- ر -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- م -

- ن -

- و -

فهرس القبائل والمذاهب والأمم

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ع -

محتويات الكتاب

الصفحة